

العربية الحديثة

تأليف
ميشال زيشاكو



مكتبة وثقافية
بيروت - لبنان

الوصية السرية

ميسال زيفالو

الوصية السريّة

المكتبة الشافعية
بيروت - لبنان
ص. ب. ٨٧٢٧

الولاء الكاذب

اصاب خبر موت البنفسجية الدوق دي كيز في الصميم .. وهو الخبر الذي القته اليه فوستا وهي تودعه ، فمضى ليله في هم مقيم وحزن عظيم ، وبكاء متواصل .

فلما اصبح الصباح تمالك نفسه وفكر في المستقبل باسم امامه ، والعرش الذي سوف يجلس عليه ، والفتوح التي وعدته فوستا بها ، والملك الذي يجب ان يموت ليحل محله ، والرحلة الى (بلوا) حيث مقر الملك ، فأمر خادمه بفتح باب القاعة الكبرى ليستقبل النبلاء الذين كانوا قد تجمعوا في الاروقة والغرف المختلفة بانتظاره .
ولما مثل الجميع امامه قال لهم :

— لقد امر الملك ايها السادة باجتماع المجالس النيابية فارسلت الاقاليم نوابها الى (بلوا) وعلينا ان نساغر الى هذا المكان تلبية لرغبات الملك ، ولكي يشارك ممثلو باريس نواب الولايات المختلفة في شؤون الحكم والادارة .

ولما انصرف النبلاء ليستعدوا لهذه الرحلة ، كتب الدوق دي كيز
الرسالة التالية الى فوستا :

« سيدتي

« لقد اقنعتني حديثك وارضائي ، ولم اعد اطيع الصبر لحظة على
تنفيذ المشروع الخطير الذي وضعت خطته •

« ولهذا قررت السفر الى (بلوا) حالا ، وبعد الانتهاء من كتابة هذه
الرسالة •

« وسأشرف بانتظارك في بلوا لتنفيذ الامرين الخطيرين اللذين
اتفقنا عليهما •

« اولهما موت من تعرفين ، وثانيهما اتحاد قوتينا » •

هنري دوق دي كيز الآن

وادار وجهه يبحث عن رسول يكلفه بحمل الرسالة الى صاحبته ،
فشاهد (مورفر) فكلفه بها •• وحذره من اضاعته لخطورتها •

وغادر (مورفر) قصر الدوق وهو يقول في نفسه : ليس هذا الرجل
ممن يوثقون به ، فهو ابدأ يتبدل ويتقلب ، ولو كنت واثقا ان بارداليان
لقى حتفه ، لابتعدت عنه ، وسرت في سبيل آخر ، ومضيت اكيد له
وانتقم منه •

ولكني لا استطيع شيئا ضده في الوقت الحاضر ، وهو القوي
العزيز •

ولقد توجه مورفر الى منزله الخاص قبل ان يذهب الى قصر فوستا ،
وبعد ان احكم اقفال الباب وارخى الستائر ، اخذ شفرة رقيقة ومضى
يعالج بها الرسالة حتى فض غلافها وقرأ محتوياتها ، فاهتاج واهتم لما فيها ،
واخذ ورقة وراح يقلد خط الدوق حتى استقام له ذلك بعد جهد ، فوضع

الرسالة المقلدة في الغلاف ، واعد الختم الى ما كان عليه ثم وضع الرسالة
الاصلية في جيب من جيوبه السرية ، وهو يقول في نفسه :
— هذه لملك فرنسا •

وبعد ان سلم الرسالة الى فوستا ، عاد الى قصر الدوق فوجده قد
غادره الى (بلوا) فمضى خبياً على جواده حتى لحقه ، وقال له :
— لقد قضى الامر يا مولاي •



وقف بارداليان في ذلك الرواق المظلم من قصر فوستا دهشاً حائراً
لما سمعه من الحديث الذي دار بين الدوق وهذه المرأة الجهنمية ، وراح
يقول لنفسه :

— اليس من المؤلم ان تكون هذه المرأة الجميلة الذكية من اهل
الخيانة والغدر ، فاني لم اكد انقذها من الموت حتى طلبت من الدوق
قتلي •

ولما عادت فوستا الى غرفتها بعد ان ودعت الدوق ، فكر بارداليان
في الدخول عليها وتأنيبها ، ولكنه ما لبث ان تمالك نفسه ، حين شاهدها
تجلس على كرسي وتبكي •

ثم ما لبث ان تمالكت نفسها •• وقرعت جرسا •• فأقبل خادم ، وقف
بعيدا حين رآها تكتب •

وكان الكتاب طويلاً استغرق ساعة من الزمن ، فلما انتهت منه وختمته
سألت الخادم عن الكونت ، فاجابها انه في موقفه قرب سانت دينس •
فقال له :

— سر بهذه الرسالة اليه ، وقل له ليسافر في الساعة الثامنة من الصباح الى دنكرك ليدفع هذه الرسالة الى الكسندر فرنيز. • وقل له اذا لم يجدني في باريس عند عودته ، فليلق بي في (بلوا) •

ولما خرج الخادم لينفذ امرها ، قال بارداليان في نفسه ، لا شك انها تأمر الكسندر فرنيز في هذه الرسالة للتأهب لدخول فرنسا كي يغدو الدوق دي كيز امبراطورا على اوروبا كلها •• كما وعدته ان يكون •

غادرت فوستا القاعة على الاثر ، فاقبل خادم واطفاً الانوار ، وبعد قليل لم يعد بارداليان يسمع صوتا فايقن ان الجميع قد ذهبوا لمضاجعهم • جرّد خنجره ومضى يبحث عن الباب الخارجي ، فوصل الى ردهة كان فيها نور ضعيف ، ولم يكن فيها احد من الحراس ، لان جميع حراس فوستا انضموا الى الكردينال روفيني وتركوا فوستا لمصيرها •• فلم يجد والحالة هذه صعوبة في فتح الباب ، واقفاله بعد خروجه ، وكانت ساعة كنييسة نوتردام تدق مؤذنة بانتصاف الليل •

توجه بارداليان الى فندق دفينير على التو ، فلما بلغه وطرق الباب ، وفتحت له الخادمة ، طلب منها ان تعد له طعاما ، فقد كان شديد الجوع • فقالت تعتذر :

— اني اكاد اموت أمن النعاس يا سيدي الشفاليه •

— اذن اذهبي الى غرفتك ، ولا تنسي ايقاظي في الساعة السادسة صباحا •

فلما تركته وشأنه ذهب الى المطبخ يعد لنفسه طعاما ، فارتبك واخطأ ، واخذ يضحك من نفسه ، واحس بحركة خلفه فالتفت فشاهد هيكلت صاحبة الفندق تراقبه وتضحك ، ثم تقدمت منه ، وابعده عن النار واخذت تعد له طعامه ، وهي تقول :

— سوف اطرء الخادمة غدا •

— لا تفعلني فانا التي سألتها ان تعود لفراسها •

واقبلت هيكتيت تخدمه ، وتهيء له طعامه ، وهي راضية شاكرة
مسرورة فرحة ان تمكنت من خدمته ، والاشراف على راحته ، وكانت كما
يعلم القاريء تحب بارداليان جدا جدا ، وتحترم حبه لزوجته الميتة ،
فتحتفظ بحبها في قلبها ، وكان اقصى امانها ان يظل بقربها ، ولا يترك
فندقها لتقرر عيناه بقربه •

وبعد ان تناول بارداليان طعامه ، اوى الى فراشه ثم ايقظته الخادمة
في السادسة صباحا فتوجه الى كنيسة سانت ديس التي سمع فوستا تقول
ان الكونت احد رجالها يقيم في منزل بقربها •

ولما وصل الى المكان ترجل عن جواده ، واختبأ خلف شجرة في الطريق ،
فاقبل بعد نصف ساعة خادم فوستا قادما من باريس ، فعرفه بأنه الرجل
الذي يحمل رسالة الكسندر فرنيز الى الكونت المجهول •
ودخل خادم فوستا الى المنزل ، ثم غادره عائدا الى باريس بعد ان سلم
الكونت الرسالة •

وظل بارداليان منتظرا في مكانه ، حتى خرج الكونت فركب جوادا
وسار في طريق دامارتين • • فمضى بارداليان في اثره ، حتى وصل الى قرية
فنام في فندقها ، وفعل بارداليان مثله ، ولكنه لما افاق في صباح اليوم التالي
وعرف من صاحب الفندق ان الكونت قد سافر ليلا ، ادرك انه قد اكتشف
سره ، وانه يتأثره ، فمضى يلحقه حتى لحق به ، ودعاه لتسليم الرسالة
التي معه فرفض الكونت ، فبارزه بارداليان وجرحه ، ثم اخذ الرسالة منه ،
ومزقها امام عينيه ، وهو يقول :

— لقد خطر ببالك اني سوف استعمل هذه الرسالة ضد فوستا ،
واسلمها للملك لينتقم منها ، والواقع كما ترى غير ذلك ، فليس يهمني

القضاء على فوستا ، رغم محاولاتها العديدة لقتلي ، وانما اريد فقط
افساد كل مشاريعها ، وشل حركاتها •• والقضاء على مكايدها •
وبعد ان ضمد جراح الكونت سلمه الى عجوز عثر عليها للعناية به
في قريتها القريبة بعد ان حمله الى منزلها ، ودعا طبيبا عجوزا لمعالجته ،
وبعد ان فحصه الطبيب او المتطبب على الاصح ، قال انه سيشفى ••
ولكنه يحتاج الى شهرين للراحة •
وعاد بارداليان الى باريس بعد ذلك للبحث عن مورفر ، ولقاء الدوق
دي كيز •

ولكن الدوق كان في الطريق الى (بلوا) كما قدمنا ، بصحبة مائة
 وخمسون نبيلًا كانوا جميعا من انصاره ، ويضحون انفسهم في سبيله •
 وكان يعلم الى هذا ان جميع النواب الذين يحضرون الجلسة الكبرى
 في (بلوا) •• لا بد ان يكونوا باكثرتهم من اتباعه وانصاره ايضا •
ولهذا فسيكون هو رئيس المجلس الحقيقي لا الملك ، الذي لا ينصره
غير قوة من الجند بقيادة كيرلون •• وقد علم من مورفر ان الجنود
 يشكون من تأخر مرتباتهم •• وانهم يتأهبون للثورة والعصيان •
 ولما وصل الدوق وانصاره الى مكان قريب من (بلوا) شاهد جمعا
 من الفرسان يتقدم نحوه ، ولما مثلوا امامه اخبروه انهم وفود نواب الشعب
 الذين ارسلوهم لتحيته واستقباله •
 فسر بذلك سرورا عظيما ، واطمأن الى فوزه القريب بالعرش •



كان ملك فرنسا في هذه الاثناء يذرع القاعة الكبرى في القصر الذي
يقع فيه جيئة وذهوبا بانتظار وصول الدوق دي كيز ورجاله •

وقد غصت الشرفة ودراجات السلم الكبير بالنبلاء والجنود ، وانتشر الحراس هنا وهناك وكان في القاعة ما يقرب من عشرين نبيلًا ، ينظرون الى الملك وامه دون ان يتكلموا او يتحركوا ، فيما كانت الملكة كاترين جالسة في زاوية من زوايا القاعة تتحدث مع احد الكهنة .

وسمع الجميع ضجة في الخارج .

وتجاهل الملك سبب الضجة .

وقال للكونت دي لوان : .

— اذهب وانظر ماذا يجري خارج القصر يا كونت .

واقبل (كالابر) في هذه الاثناء وكان قد اطل من النافذة ، عند سماعه

الضجة ، يقول للملك :

— لقد وصل الدوق دي كيز يا مولاي .

وقال الملك بلهجة ادهشت الجميع :

— اي شيء له معنا ، وماذا جاء يعمل هنا ؟

وكان الدوق قد اخذ يصعد السلم في هذه الاثناء ، وخلفه حاشيته

ورجاله وحراسه ، ففطن (كريلون) قائد حرس الملك الى معنى هذه

الظاهرة وما فيها من تحد للملك ، فحال بين الدوق ورجاله ، وقال للدوق

واخويه :

— انقد امرني الملك ان اخبركم بانه يتفضل بمقابلتكم .

ثم التفت الى رجال الدوق وقال لهم :

— واما انتم ايها السادة فتفضلوا بالانتظار .

وحاول رجال الدوق الاعتراض ، فتدخل الدوق ، ودعاهم الى انتظاره

في مكانهم .

ثم قال لكريلون :

— تفضل يا سيدي بادخالنا الى جلالة الملك •
وقف رجال الدوق على السلم الذي ازدحم بهم وبرجال الملك ،
واختلط الفريقان وجعل كل منهما ينظر الى رفيقه ، نظرة العداء والتحدي •
واما كريلون ، فقد ادخل الدوق واخويه الى قاعة الملك واقفل الباب
خلفهم •• ووقف على الباب ينتظر ما يكون •
وكان الملك جالسا على كرسيه ، وقبعته على رأسه ، وقد اسند كوعه
الى الكرسي ، وتقدم الدوق وشقيقاه نحو عرش الملك حيث حنوا
رؤوسهم ووقفوا ينتظرون ما يقول •
ولم يقل الملك شيئا في اول الامر ، وساد صمت هائل في القاعة
الكبيرة •

ثم قال جلالتة :

— اهذا انت ايها الدوق •• ما الذي تريد ان تقوله لنا ؟
وارتعش جميع من في القاعة لهذه اللهجة القاسية ، وهذا الاستقبال
الفاتر ، ومدوا ايديهم الى سيوفهم وخناجرهم ، وتمالك الدوق نفسه ،
وقال :

— تعلمون يا مولاي ، ان اخي الكردينال رئيس حزب الاساقفة ، وقد
اتى يمثلهم عند دعوتكم النواب للحضور •• كما ان اخي الدوق دي مايان
زعيم النبلاء في اللورين ، قد اقبل يمثل هؤلاء النبلاء ايضا •
فأجابه الملك بلهجة قاسية :

— وانت ايها الدوق •• فاني لا ارى فيك غير زعيم ثورات ورئيس
مؤامرات •

واصفر وجه الدوق من هول التهمة •• ومضى الملك يقول :
— اني لم اسألك عن اخويك ، واني سألتك عن نفسك ، فما الذي
جئت تفعله هنا ؟

وتقدمت الملكة كاترين من كرسي ولدها ، فأحس الدوق بالشر ، وقال في نفسه :

— اذا بدرت منهما بإدرة غدر ، ناديت رجالي ، وليكن ما يكون •
وقال الدوق :

— اني يا سيدي احد النبلاء الذين دعوتهم ، وقد رأيت من واجبي تلبية الدعوة •
فعاد الملك يقول :

— اني لا اسألك عن سبب قدومك الى (بلوا) ، ولكن الى هنا ••
الى قصر الملك فما الذي جئت تفعله ؟

فتلعثم الدوق ، ولم يجر جوابا ، وهمس الكردينال في اذنه ، وكان اثبت منه جنانا :

— ما هذا الجبن ؟ ولماذا لا تجرد حسامك ؟
ومضى الملك يقول :

— ثم انك اتيت لمقابلتي ومعك عدد كبير من الحرس والحاشية ، لا اسير انا على رأس مثلهم ولو شاهدنا المارة لظنوك الملك دوني •
حاولت كاترين ان تتدخل ولكن الملك قاطعها ، ومضى يقول للدوق :
— دعيني وشأني فليس هنا غير ملك واحد ، ومتى تكلمت وجب على الجميع ان ينصتوا ويسمعوا •
ثم التفت يقول للدوق :

— اني اهنئك بهذه الحاشية ، ولكنها لا تزال تنقص رجلا ، وهو ذلك الراهب الذي اراد قتلي في كنيسة شارتر ، العلك نسيته في باريس ؟
وعظم هياج حاشية الملك عند سماعهم هذا الكلام ، وعادوا يتحسسون سيوفهم ، والتفت الدوق الى الباب ، كمن يهيم بالاستنجاد برجاله •

ولكن كاترين اسرعت فتدخلت بعد ان استأذنت من ولدها الملك ،
وقالت للدوق :

— لا بد انك تعلم ايها الدوق اننا اكتشفنا مؤامرة لقتل الملك في
شارتر ، لولا رحمة الله التي انقذت الملك ، وقد جاء هذا القاتل معك من
باريس ، وهو ما اراد جلالته ان يقوله •

وانكر الدوق ان يكون له علم بهذه المؤامرة ، او ان هناك رجلا في
المملكة كلها يريد الاساءة الى جلالة الملك •

وابتسمت الملكة وقالت :

— والآن وقد جئت لزيارة جلالته ، فهو يريد سؤالك عن السبب في
هذه الزيارة ؟

وتمالك الدوق نفسه ، واغتتم هذه الفرصة ، فاعلن انه جاء يدعو
الملك للعودة الى عاصمته ، ويقول هذا على ملا من جميع النبلاء الذين
اتوا معه •

وقد امر الملك بفتح باب القاعة ، فسمع الجميع كلام دي كيز، ومضى
الدوق ينكر ان تكون له علاقة بالفتن والثورات التي وقعت في فرنسا ،
وانه لولا وقفته الشديدة ضد الثوار لاستفحل الامر •• وتطور الموقف
وختم حديثه : وقد جئت اضع حسامي تحت قدمي جلالة الملك ، واعرض
عليه سلما موطد الاركان اذا كان هناك خلاف وخصام •

وقد اضطرب اتباع الدوق وانصاره لهذا الكلام الذي اعلنه زعيمهم
امام الملك ، واعتذر له آخرون بانه يتظاهر بالطاعة والخضوع والمسالمية
لغاية في نفسه •

وكانت هناك قلة تعرف اغراض الدوق فلم تدهش لهذه التصريحات •
وقال الملك :

— اتعيد ما قلته الان ايها الدوق امام الهيكل في الكنيسة ؟

فتردد الدوق لحظات ، ثم قال :

— بالتاكيد يا مولاي ، وعندما يصدر امر جلالتكم •

— اتقسم بالقربان المقدس يمين المسالمة والاخلاص ؟

فقال الدوق :

— اني مستعد لحلف اليمين يا مولاي عند عودتنا الى باريس في

كنيسة نوتردام •

فقاطعه الملك :

— بل تحلف هذا اليمين هنا ، وفي كنيسة بلوا فان الكنائس سواء عند

الله •• وسنذهب الان الى الكنيسة •

وخطب الملك كريلون رئيس حراسه وقال له :

— سنذهب الى الكنيسة يا كريلون ، لسمع الجميع قسم الدوق ،

واما الان فاتركوني وحدي •

ولما خلا الى امه ، تحدث اليها ، بشوقه للعودة الى باريس •

فقالت له :

— يبدو انك تريد العودة اليها لتعود لحياة العبث واللهو •• واتفاق

الاموال دون حساب ، ولكن المجالس النيابية قد لا تترك على هذا

الاسراف •• والشعب لن يسكت الى الابد عليها ••

« ولتعلم يا بني ان الخلاف بيننا وبين دي كيز لم ينته ، وهو سيقسم

هذا القسم مكرها ، وسيحنت به في الوقت المناسب » •

ولكن الملك لم يلق بالا لتحذيرات امه ، وذهب الى الكنيسة مع

رجاله ، حيث حلف الدوق دي كيز يمين الاخلاص للملك امام جمع غفير

من النبلاء والجنود •

ولما انتهت الصلاة ، غادر الملك الكنيسة بعد ان دعا الدوق للعشاء
عنده مع اخويه •
وظل رجال دي كيز حول الكاردينال شقيقه في الكنيسة ، وهم
يصيحون ويقولون :
— هذه خيانة •• فليس من حق الدوق ان يخلف باسم سواه •• وان
يربط اعضاء الحزب المقدس بما ربط به نفسه •
وقال الكاردينال يطمئنهم :
— تمهلوا ايها السادة واسمعوا ما اقوله ••
« لقد اقسم اخي الدوق يمين الولاء ، ولكن لمن » ؟
فصاح الجميع :
— للملك طبعاً •
— ولكنه لم يقسم يمين الولاء لهنري الثالث •• بل لملك الحزب
المقدس ، الذي ستختارونه اتم •• وليس لهنري الثالث الذي سيموت •

- ٢ -

رأس الدوق

سر الجميع لهذا التفسير وسرّي عنهم ، وعادوا الى مرحهم ولهوهم
وعبثهم •

ولما جلسوا لتناول الطعام على مائدة الملك ، كان الفلكي ريجيري
يراقبهم من نافذة تطل على صالة الطعام •• فلما انتهوا من الطعام قاموا
يلعبون الورق ، حتى اذا احس الملك بالتعب غادرهم وأوى الى فراشه •
وغادرت الملكة كاترين القاعة على الاثر في طريقها الى الغرفة التي كان
فيها الفلكي ، فالتقت (مورفر) في طريقها ، فصاحت تقول :

— مورفر •• اننا لم نرك من زمن بعيد ؟

فقال :

— نعم يا سيدتي •• انا مورفر •• الذي هو من اخلص المخلصين
لجلالتك •

فقال بهدوء مرعب :

— ما الذي كنت تفعله يا مورفر حين غادر ولدي الملك باريس ؟
فقال :

— لقد فهمت قصدك يا سيدتي ، فقد كنت في خدمة الدوق دي كيز كل هذه الفترة ، وكنت من اعضاء حزبه المقدس ومن العاملين على اقضاء الملك عن عاصمته ، ولكن السبب في هذا كله ، تجاهلك لي بعد كل الخدمات التي قدمتها لك اثناء المذبحة العظيمة ، وبعد ان قطعت رأس كوليني وجئت بك به .. فكان ان انتقلت الى المعسكر الآخر .. بعد ان تجاهلت خدماتي ، ونسيت مكافأتي •

واشتد بالملكة الغضب بعد هذا الجواب ، وامرته بمغادرة المكان •
ولكن الفلكي الذي كان قد سمع طرفا من الحديث ، تدخل واثار اليها اشارة خاصة ، فبدلت لهجتها وقالت :
— لقد عفوت عنك يا مورفر ، رغم ما سمعته منك من التصريحات الغريبة •

فرحم عندئذ مورفر على قدميها وقال :
— استطيع الان ان احدثك بما جئت لاجله •
فادركت الملكة انه يحمل اليها سرا كبيرا فقالت :
— تكلم •
وقال الفلكي :

— لا بد انه يحمل لجلالتك نبأ عظيما يستحق عليه المكافأة والثواب •
فقال مورفر :
— بالتأكيد .. لقد اتيت احمل الى جلالته رأسا ايضا ، كما فعلت في مذبحة برتلماوس •

واحمر وجه الملكة من السرور .. وادركت ان هذا الرأس الجديد لا بد ان يكون رأس الدوق دي كيز .. فليس من خطر على الملك اليوم غيره •

سأنته :

— ماذا تطلب مقابل ذلك ؟

فقال :

— اني اكنفي بثلاثمائة الف دينار ، وهو مبلغ قليل لان الرأس الذي اتكلم عنه يساوي اضعاف هذا المبلغ .
فقالت الملكة في نفسها :

— بل انت على استعداد لتخون سيدك دي كيز مجانا لحدك عليه .

وطلبت الملكة من الفلكي ان يأتيها بورقة من الاوراق الموجودة في الدرج الثالث من خزانها ، وكانت هذه الاوراق حوالات على الخزينة لم تذكر فيها المبالغ التي يراد صرفها ، وهي موقعة بامضاء الملك هنري الثالث ملك فرنسا .

وقد وقعت كاترين على الورقة بمبلغ خمسمائة الف دينار باسم (مورفر) على ان يقبض المبلغ في باريس ، وفي اليوم التالي لموت دي كيز ..
وحين يستقل الملك بالحكم والسلطان .

وسر (مورفر) بالنجاح الذي حصل عليه ، فقد كان همه الحصول على المال اللازم والهرب من بارداليان الى ارض الله الواسعة ، والانتقام من دي كيز الذي اغفله وتهاون في امره ، واحتقره .

وضع (مورفر) الورقة في جيبه ، واخرج من سترته ورقة ثانية وهو يقول :

— انقد اعطيني ورقة على الخزينة يا سيدتي ، وانا سأقدم لك ورقة قد تطيح برأس دي كيز اذا قرر الملك ذلك .
واخرج رسالة دي كيز الى فوستا ، وهي التي احتفظ بها ، واعطى فوستا الرسالة المزورة .

واخذت كاترين تقرأ ما يلي :

» سيدتي

» لقد اقتنعت من كلامك حتى لم اعد اطيع الصبر على تنفيذ المشروع الخطير الذي رسمت لي خطته ، واصبحت لا استطيع الصبر لا شهرا ولا اسبوعا ، وانا مسافر على التوالي (بلوا) لتنفيذ الامرين الخطيرين اللذين اتفقنا عليهما .. وهما قتل من تعرفين ، واتحاد قوتينا كما تعلمين .
الامضاء

هنري دي كيز

(في الوقت الحاضر)

ولقد قرأت كاترين الرسالة اكثر من مرة ، حتى استوثقت من الاغراض الواضحة التي ترمي اليها بكلمات مبهمه .. ثم سأله :

— لمن اراد ارسال هذه الرسالة ؟

— الى الاميرة فوستا .

— اذا فهي لم تصل اليها .

— بل لقد ارسلت نسخة مقلدة منها ، زيادة في الحيلة والحذر .

فسرت الملكة بهذا الجواب ، وقالت :

— اوافق انت ان احدا لم يطلع على هذه الرسالة ؟

— كل الثقة .

وعندئذ اشارت الملكة اليه بالانصراف ، ثم استندت على المائدة بيدها

واخذت تفكر .

غادرت فوستا قصرها الى (بلوا) بعد ايام من سفر الدوق دي كيز الى باريس .

وفي الساعة التي برحت فيها العاصمة من باب مونمارتر ، اقبل اليها بارداليان من باب سانت دنيس ، بعد ان تمكن من انتزاع رسالة فوستا الى الكسندر فرنيز من الكونت الذي بارزه وجرحه ، وتركه يعالج في احدى القرى البعيدة عن العاصمة .

فلما علم بسفر الدوق الى (بلوا) كر راجعا من حيث اتي ، وقرر السفر الى (بلوا) ايضا ، لعله يعثر على (مورفر) او يقع على (دي كيز) فينتقم من الاثنين معا .

ومر في طريقه بدير اليعاقبة حيث زار (جاك كليمانت) .. فعرف منه انه لا يزال مصرا على قتل الملك ، ولكنه ينتظر كلمة من بارداليان تقول له .. أنت وشأنك .

فهز بارداليان رأسه وقال :

— الافضل ان تنتظر قليلا ايضا .. وبهذه المناسبة تعال معي الى (بلوا) فاني مسافر اليها ، وبحاجة الى رفيق في الطريق .

وما كاد الرجلان يغادران الدير حتى ارسل رئيسه رسالة الى الدوقة دي مونتبانسيه يخبرها فيها ان جاك كليمانت في طريقه الى (بلوا) . وكان رئيس الدير قد سمع الحديث الذي دار بين الرجلين من خلف الباب ، وظن ان بارداليان لا بد ان يكون احد المتآمرين ، وانه هو الذي يقرر الساعة التي يجب فيها ان يضرب الراهب ضربته .

وكانت الملكة كاترين في هذه الاثناء ، وبعد ان تسلمت من (مورفر) رسالة الدوق دي كيز الى فوستا ، قد راحت تراقب الدوق ، وتفكر في اللحظة المناسبة ، التي تفاجئ فيها دي كيز بسر جريمته .

وكان قد وصل في هذه الاثناء رسول من ملك النافار يحمل رسالة

الى الملك هنري الثالث ، فقرأ الملك الرسالة امام النبلاء والاعيان الذين كان يغص بهم قصره ، فاذا ملك النافار يطلب ان تعاد الى الهيكونوت املاكهم التي وضعت الدولة يدها عليها ، وان يقر مبدأ حرية الدين ، فضج الحاضرون من الطلبين ، واخذوا يضحكون ويتندرون بهما ، واجاب الملك رسول ملك النافار بانه سوف يدرس هذين المطلبين ، وانه سيكلف الدوق دي كيز قائد الجيوش بحمل رسالته هذه .

وعلا على الاثر هتاف النبلاء والاعيان ، واعتبروا كلام الملك دليلا على اعلان الحرب على الهيكونوت .

ولما حمل رسول ملك النافار جواب ملك فرنسا اليه ، قرر هذا تعبئة جيشه ، والوصول الى اغراضه ومطالبه بحد السيف .

وفي هذه الليلة اجتمعت الملكة كاترين الى ولدها ، واخبرته بان الدوق دي كيز يريد قتله ، واعطته الرسالة ، فقرأها ، وبدا الخوف واضحا على وجهه ، ثم سألها : متى حصلت عليها .

فاجابته : منذ اسبوع ، فسرّى عندئذ عن الملك وقال :
— لقد كتب هذه الرسالة قبل ان يقسم في الكنيسة يمين الطاعة والاخلاص .

ولما حاولت الملكة اقناعه بان الدوق سوف يخونه ويحث بقسمه رفض تصديقها فطلبت منه مهلة ايام ثلاثة ، لتحمل اليه البرهان القاطع على خيائته .

فقال لها الملك :

— اذا حصلت على هذا البرهان فسأقضي على الدوق القضاء المبرم .
« نعم اذا فعلت ، وحملت اليّ الادلة الثابتة على خيائته دعوت ابرسل رجالي وطلبت منهم ان لا يعودوا اليّ الا برأسه » .

ولكن الملكة نصحته ان يظل هادئا مجاملا له حتى تسنح الفرصة
المناسبة لقتله .. هو ورجاله .

وقع هذا في يوم الاحد .
وفي مساء هذا اليوم نفسه وصل الى مدينة (بلوا) الراهب الذي
ارسله رئيس دير اليعاقبة حاملا رسالة منه الى الدوقة شقيقة الدوق دي
كيز .. التي يحبها جاك بكليمانت حبا جما ، والتي كانت تحاول التقرب
منه وتظهر امامه بمظهر الملاك الذي يأمره بقتل الملك .

وقد وصل هذا الراهب الى فندق القديس متى عند وصوله مساء يوم
الاحد .. فوجده فندقا فاخرا قد اجتمع في قاعته عدد كبير من رجال
الدوق دي كيز يشربون ويعبثون .

حاول العودة من حيث اتى .. والبحث عن فندق آخر اقل نفقة
واسهل منالا ، وفيما هو في سبيله شاهد (مورفر) يجلس على مائدة وحده
يتأهب لتناول طعامه ، فاهتاج معدته ، وعرف في مورفر صديق الدوق
العزیز ، وقال في نفسه :

— لقد بلغت غايتي فانا لا اعرف احدا في هذه المدينة ، وسأسأل مورفر
فيرشدني الى مكان الدوق دي موتبانسيه ، ولا بد ان يدعوني الى
مائدته ، فاملا معدتي الفارغة طعاما شهيا فاخرا .. لم اذق مثله منذ
سنوات .

تقدم الى مورفر وسلم عليه قائلا :
— السلام على سيدي المركيز دي مورفر .

فاجابه مورفر بجفاء :

— لست بمركيز *

لم يتأثر الراهب لهذا الجفاء ، فقد كانت رائحة الطعام قد ملكت عليه كل حواسه ، فمضى يقول :

— يسرني يا سيدي بل يسر رئيس دير اليعقوبيين ان يعلم اني تشرفت بسجاستك *

بدا الاهتمام على وجه مورفر ، وسأل الراهب ؟

— هل رئيس الدير ارسلك الي ؟ *

— لم يرسلني اليك مباشرة .. ولكنني اكاد اموت من الظمأ فاسمح لي يا سيدي بان اشرب قدحا من الخمر *

وقد صب لنفسه كأسا دون ان ينتظر اذنا من مورفر ، وهو يقول :

— اني اشرب نخبك ونخب الحزب المقدس ونخب موت الظالم *

وارتعش مورفر وادرك ان الراهب يحمل سرا ، وسأله بصوت خفيض :

— هل جئت الي (بلوا) لهذا الغرض ؟

ولم يكن الراهب بالتأكيد يعلم حقيقة المهمة التي ارسله رئيس الدير بها ، فغمز بعينه وشرب كأسا ثانيا *

فطن مورفر ان هذا الغمز دليل الايجاب ، ولم يكن هناك ما يشغله طوال الاسبوع الفائت غير موت دي كيز ليقبض الحوالة ، ويغادر فرنسا ، وتولاه الاضطراب مخافة ان يستبق الدوق الحوادث ويقتل الملك فيخسر مورفر كل شيء ، فسأل الراهب ان يتبعه ، لان المكان لا يصلح لمثل هذا الحديث ، ففعل الراهب ، وذهبا معا الى فندق متواضع يسكن فيه مورفر حيث قدم للراهب عشاء شهيا لم يأكل مثله في حياته *

وبعد ان شرب الراهب عددا من كؤوس الخمرة اخبره بالرسالة التي

يحملها الى الدوقة شقيقة دي كيز . وسأله ان يذهب به لمقابلتها ليسلمها
الرسالة يدا بيد كما امره رئيس الدير ان يفعل •

حاول مورفر ان يأخذ الرسالة منه ويذهب بها الى الدوقة ، لان الوقت
ليل ومن الصعب مقابلة الراهب لها في مثل هذه الساعة •

وزاد يقول : ان الدوقة سوف تسافر غدا وقد لا تعود قبل شهر •

ولكن الراهب رفض تسليم الرسالة الا للدوقة نفسها ، فقال مورفر :
— اذا كان الامر كذلك فلم يبق امامنا الا ان نذهب اليها ونوقظها
من نومها •

— هيا بنا •• اين تقيم الدوقة ؟

— في منزل قريب من قصر الملك • .

ولما وصلا الى اطراف القصر الذي يقيم فيه الملك ، وكانت الارض
ملينة بالحفر والماء ، سأل مورفر الراهب عن الرسالة فقال :
« انها في صدري » فطعنه بخنجره والقاء في احدى هذه الحفر ، بعد
ان انتزع الرسالة منه ، وقرأ فيها ما يأتي :

« سيدتي

« اتشرف بانخبار سموك الملكي ان الراهب قد سار في طريق بلوا
متقلدا الخنجر الذي تعرفينه •

« فاذا سلم قالوا هذه المرة ايضا •• فلا شك ان الشيطان يحميه •

« ولست اعلم اذا كان الراهب سوف يجرأ على زيارتك ، فاذا لم
يفعل فعليك بالبحث عنه لتشديد عزمته للاقدام على الامر الخطير •

« ولتعلمي يا سيدتي انه سافر مع فارس من اهل البسالة والاقدام
واست اشك انه من رجال حزبنا •

« ورجائي يا سيدتي الدوقة ان يكون يوم الفوز قريبا ، وان لا تنسي

ان تذكريني بالخير عند اخيك العظيم .. وفي انتظار ذلك ادعو الله له بالتوفيق والنجاح » •

ولم يوقع رئيس الدير رسالته هذه ، مكتفيا بإشارة صار الاتفاق الاتفاق عليها •

ولكن تلقيه الدوقة باللقب الملكي ، كان يؤكد معرفته بالسر ومشاركته فيه •

وقال مورفر في نفسه :

— يجب ان اذهب بهذه الرسالة حالا الى الملكة كاترين ليتم القضاء على الدوق دي كيز سريعا •

واسرع الى القصر الملكي ، وطلب من رئيس الحرس مقابلة الملكة ، فظنه الضابط مجنونا ، ولم يعرفه ، لان مورفر اخفى وجهه بوشاحه ، ولكن مورفر أكد لرئيس الحرس ان الامر خطير جدا ، وان الملكة ستكون مسرورة من استقباله ، فذهب رئيس الحرس الى غرفة الملكة ثم عاد يدعو مورفر لمقابلتها وهو يعتذر له •

ولما مثل مورفر امام الملكة ناولها الرسالة وهو يقول :

— من رئيس دير اليعقوبيين الى الدوقة دي مونتبانسيه •

قرأت الملكة الرسالة بسرعة ، ثم قالت :

— يجب ان نستوثق من الرجل الذي حملها •

— لقد قضيت عليه يا سيدتي ، وهو الآن في حفرة ماء بالقرب من

القصر •

فارتعشت كاترين وقالت في نفسها :

— لن يدهشني ذلك .. وهو ممن تخرجوا من مدرستي •

وبعد ان صرفت مورفر ، ذهبت الى الملك فايقظته ، واطلعت على

الرسالة وهي تقول :

— لقد سألتك مهلة ثلاثة ايام ، ولكن القدر حصل اليّ البرهان بعد ثلاث ساعات ، ولتعلم ان الوقت ثمين فاذا لم تقتل اعداءك قتلوك لا محالة .

★ ★ ★

دعا الملك النواب في اليوم التالي لجلسة كبرى ، والقى عليهم خطابا ندد فيه بالانقسام والتفرقة ، وتعهد لهم انه سيقضي على البدع واصحابها .
فهتف له الجميع ، وتناولوا بالبحث شؤون الدولة .
ولما انقضت الجلسة ، وخرج الملك الى قاعة الاستقبال احس بالرعشة تسري في جسمه ، حين كان يشاهد رجال دي كيز يضحكون ويتندرون ، كأنما هم واثقون من انفسهم ونجاحهم ، ولكنه كان يتمالك نفسه حين يشاهد امه هادئة مطمئنة ، وكانت قد اوصته ان يتقرب من الدوق دي كيز واسرته ، وان يمنّيهم باحسن الوعود والمكافآت .. وان ينتظر الفرصة السانحة التي تمكنه من القضاء عليهم جميعا .

وكذلك جعل يفرّق الرتب والوظائف على اهل دي كيز ورجاله ، حتى لقد انخدع الدوق نفسه بهذه المظاهر ، وقال في نفسه :
— لقد اخذ يسلم لي نفسه مكتوف اليدين .
وبعد ان فرغ الملك من توزيع الرتب والوظائف الكبرى على رجال دي كيز اشارت له امه اشارة سرية فالتفت الى الدوق دي كيز وقال له :
— انك نائب رئيس القصر الملكي اليس كذلك ؟
— نعم يا مولاي .
فقال الملك :

— اذاً لماذا لا تتمتع بامتيازات منصبك ، اني اريد سلاما تاما في مملكتي ، ومفاتيح القصر يجب ان تكون بيد رئيس القصر .. ولهذا فستكون هذه المفاتيح عندك منذ هذه الليلة .

وصاح رجال الدوق فرحا واستحسانا ، وذهل رجال الملك لهذا
المتبدل المفاجيء .

وقد عادت هذه الحركة على الملك بفائدتين . فان رجاله قرروا
المزيد من المراقبة والحذر ، فيما انقسم رجال الدوق بين مصدق ومكذب
لنوايا الملك واغراضه .

فلما كان الخامس من شهر كانون الاول سنة ١٥٨٨ ، امطرت السماء
كثيرا ، فلزم الملك غرفته لتوعك اصابه من شدة البرد .
وكان الدوق دي كيز قد زار القصر برفقة مائة من اعوانه كانوا لا
يفارقونه ، ثم عاد ادراجه حين علم بان الملك سيلزم غرفته ، كما غادر القصر
رجال الملك فلم يبق فيه غير الحراس والجنود .
وكان الملك قد جلس امام الموقد مع امه ، حين دخل رجل قد ستر
وجهه بوشاحه فعرفه الملك وامه ، ولم يلقيا بالا لهذه المبالغة في الخفاء
والتستر .

قال لهما بصوت خفيض :

— لقد دنا الوقت .

ارتعشت الملكة وسألته :

— متى يكون ذلك ؟

فقال الرجل :

— لا اعلم الوقت بالتدقيق . ومتى عرفته اتيتكما بخبره .

ولم يكن هذا الرجل غير (مورفر) وقد صرفته الملكة بعد ذلك
ونصحته بمغادرة القصر من السلم الصغير كالعادة .

وقامت الملكة بعد ذهابه ففتحت بابا ، واشارت بيدها فاقبل على
الغرفة خمسة عشر نبیلا ، بينهم كريلون قائد الحرس ، وكالابر ، والكويت
دي لوان ، حتى اذا اخذوا اماكنهم حول الملك قال لهم جلالتهم بهدوء
عجيب :

— ان الدوق دي كيز يريد قتلي ايها السادة •
وذعر الجميع لهذه المفاجأة ، ومدوا ايديهم يتحسسون سيوفهم
وخناجرهم ، وبعد ان هدا روعهم ، سألهم الملك واحدا بعد الاخر رأيهم
فيما يجب ان يفعله •

نصح كريلون بسحاكمة الدوق •• ليعرف خبر هذه الجريمة الجميع
حتى اذا عوقب مرتكبها اطمأن الشعب الى ان القاتل قد نال جزاءه •
ولما شاهد (كيرلون) ان الملك لم يرتج لرأيه اعلن عن استعداده
لمبارزة الدوق وقتله ، فاذا قتله الدوق تعرض له آخر من انصار الملك
حتى يقتل •

ولكن الملك لم يوافق على هذا الرأي ايضا ، وغادر كيرلون القاعة ،
فسأل الملك (بيرون) رأيه ، فنصح بالمحاكمة ايضا فاعترضت كاترين ،
وقالت :

— ان محاكمته تثير علينا اهل باريس ••
اما الكونت دي لوان فقد اعلن انه مع احترامه لاراء الاخرين لا يرى
قاضيا اعدل من هذا •• وجرد خنجره •
وقد وافق الباكون من رجال الملك على هذا الرأي ، وهو الرأي الذي
كانت تراه كاترين ايضا ، وصرخوا بصوت واحد :

— ليتم الخائن •
اشارت اليهم كاترين ليقربوا منها ، واخذت تتحدث اليهم بصوت
منخفض ، فقالت :

— اين يجب ان يكون القتل ؟ وارى انه لا يجب ان يقع في منزل
الدوق ولا في الشارع وانما هنا وفي هذا المكان •• في قصر الملك نفسه •
واما الامر الثاني : فهو متى يجب ان يتم القتل ، وهو ما سنعرفه غدا •
واما الامر الثالث ، فهو كيف يكون القتل ، وهو ما سأحدث به اليكم •

مقتل الدوق دي كيز

وقف بارداليان في هذه الليلة التي تم فيها الاتفاق على قتل الدوق دي كيز ، بين رجال الملك ، امام مائدة حوت شرابا وطعاما فاخرا ، في فندق قريب من القصر الملكي ، ينتظر ضيفه .

وكان بارداليان قد التقى منذ ساعات بكريلون قائد حرس الملك ، بعد ان غادر الاجتماع في القصر ، وعلن معارضته لقتل الدوق دي كيز ، مفضلا تقديمه للمحاكمة ، وصدور الحكم عليه .

وفيما هو في الطريق بعد خروجه من القصر التقى ببارداليان ، فعرفه وسر بلبيا ، وسأله عما يريد ، فطلب منه بارداليان ان يقدمه للملك .

فوعده كريلون ان يفعل ، واخبره ان الملك يعرفه ويقدره وان كريلون قد تحدث عنه كثيرا امامه ، وذكر ايجالته كيف ساعده على مغادرة باريس للحاق به ، رغم معارضة الدوق دي كيز .

وشكر بارداليان صديقه كريلون كثيرا ، وطلب منه قبول دعوته ، وتناول الطعام على مائدته ، في الفندق القريب من القصر .

ووافق كريلون على الدعوة ، ووعده بزيارته في الفندق مساء .
ولهذا رأينا بارداليان ينتظر ضيفه في اول هذا الفصل ويتأمل المائدة
التي اعدّها له صاحب الفندق بشيء كثير من الاهتمام ليتأكد من انها سوف
ترضي صديقه وتسره .

فلما اقبل كريلون اخيرا وشاهد المائدة ، هتف قائلاً :

— اراك ايها الصديق تعاملني معاملة الامراء .

فضحك بارداليان وقال :

— انت في نظري اعظم واثقل من اي امير .

ومضى الصديقان يأكلان ويشربان .. ثم قال بارداليان لصديقه فجأة:

— اتعلم ايها الصديق انهم يريدون قتل الملك ؟

فأجفل كريلون لسماعه هذا الخبر ، يصدر من بارداليان ، وسأله

كيف عرفه ، فأخبره انه حضر بعض اجتماعات المتآمرين .

سأله عن اسماء المتآمرين ، فقال :

— حسبك ان تعلم ان كبيرهم هو الدوق دي كيز .

« ويجب ان تعلم يا صديقي اني لا اريد مقابلة الملك كما اخبرتك في

الطريق منذ ساعات ، وانما اريد منع حدوث هذه المؤامرة .. لاني لست

من الجواسيس لانقل الى الملك اخبار المتآمرين ، فهذا شأن رجاله والمكلفين

بحمايته .. وكل ما اريده منك هو ان تدخلني الى القصر ليس لمقابلة الملك،

فهذا امر لا يهمني ، وانما لاكون قريباً منه واحميه » .

جمد كريلون في مكانه ليقول بعد لحظات :

— اتعلم انك تكلفني قضاء مهمة خطيرة جداً ؟

— بالتأكيد .

— اتعلم ايضا اني لا اعرف منك الا القليل ؟

— هذا صحيح .. ولكني انا اعرفك حق المعرفة ، فقل ما ~~تريد~~ ان

تقواه ، ولا تخشى الاساءة اليّ " •

فقال كريلون :

— لو كنت انت الذي يريد قتل الملك لكان هذا سبيلك للوصول اليه •

فقال بارداليان :

— نعم فان كل الظواهر تدل على ذلك •

فأشرق وجه كريلون حين ابصر هدوء بارداليان لشكوكه وقال له :

— ولكنني اثق بك رغم كل ذلك ، فقد عرفتكَ باسلا شجاعا ، وقد

سمعت منك كل ما يسر ويرضي •

— ولهذا اريد منك ان تساعدني على دخول القصر سرا ، وان اكون

في مكان لا يمكن للقاتل ان يصل منه الا اذا لقيني في طريقه •

فقال كريلون :

— اتعهد لك بذلك •• ولكن كيف السبيل الى معرفة اليوم الذي

سيتم فيه القتل ؟

— سوف ارسل اليك من يخبرك به •

— اذن اتفقنا •

ومضى الصديقان يشربان ويتندران ، ثم افترقا بعد ان ودع احدهما

الاخر وداعا حارا •

وكان بارداليان قد فعل ذلك ، وطلب هذا الطلب من كريلون بعد ان

عرف من (جاك كليمانت) ان رئيس الدير قد ارسل راهبا خلفهما، يحمل

رسالة خاصة ، وان هذا الراهب قد قتل •

ولما ذهب جاك بعد وصوله الى (بلوا) لزيارة الدوقة شقيقة الدوق

دي كيز ، التي كانت تعرضه دائما على قتل الملك ، استقبلته استقبالا

فاترا ، فادرك انهم قد كلفوا غيره بقتل الملك ، فكان ان قرر بارداليان

التدخل لوقف هذه الجريمة ، ورد كيد الدوق دي كيز ورجاله الى
نحورهم •



كان القصر يعج بالزائرين كما بدا من الخارج •• تلالا انواره ،
وبانت الحركة حول كل نافذة وباب ، من نوافذه وابوابه •
وكانت الساعة العاشرة لما اقبل شخص نحو القصر يمشي مشية
الخائف ، وقد جرّد خنجره بيده وستر وجهه بوشاحه •
وكان هذا الرجل مورفر ، وقد بلغ من خوفه ووهمه انه كان يظن
بارداليان خلفه ، او قدامه ، او ينتظره في ركن من اركان الشارع ، او
خلف باب من ابواب منزله •

لقد سمع الراهب رسول رئيس الدير •• يحدثه عن (جاك كليمانت) ،
الذي غادر الدير برفقة فارس باسل ، عريض المنكبين ، فضشي ان يكون
هذا الفارس هو بارداليان ، وراح يبحث عنه في كل فنادق المدينة ، دون
ان يقع على اثر له •

ولكن خوفه منه كان فوق الطاقة والامكان ، ولهذا كان ابدا لا يسير
الا وهو حذر مترب ، لا يأمن على نفسه في طريق او فندق •
ولما وصل الى حيث وقف حراس القصر ، اعطاهم كلمة السر ، فلما
وصل الى الحراس الآخرين ، التقى اليهم بكلمة سر اخرى •
ووصل اخيرا الى القصر ، ولم يعد امامه من يعترضه ، فسار توا الى
القاعة التي كان يعقد فيها الاجتماع ، واختبأ وراء احد ابوابها ، يستمع
الى الحديث الذي كان يدور في الداخل •

وكان المجتمعون في هذه الجلسة السرية ، الدوق دي كيز وافراد
اسرته ، كأخويه الدوق دي ماين ، والكردينال دي لورين ، واخته الدوقة
دي مونتباسيه ، والكردينال دي بوربون •
وكانوا قد انتهوا من حديثهم لما وصل مورفر ، وغادروا القاعة ، فلم
يبق فيها غير الدوق دي كيز ، وشقيقته ماري •

وعندئذ فتحت (ماري) بابا يشرف على ردهة كان يجلس فيها نفر
من رجال الدوق ، ودعتهم للدخول ، فدخل بيبي لكرك ومنفيل ، وغيرهما
من الرجال الذين كان يعتمد عليهم الدوق في شؤونه الخطيرة •
وبعد ان القى الدوق نظرة عليهم قال :

— لقد اكتمل عددنا •

فقال منفيل :

— كلا يا مولاي فلا يزال ينقصنا مورفر •

فقالت الدوقة :

— اني لم ادعه الى اجتماعنا هذا •• فقد اصبحت اشك فيه ، وعليكم
بمراقبته •

فقطب (منفيل) حاجبيه ، ولم يكن هذا لاشفاقه على صديقه من
هذه التهمة الخطيرة ، وانما لانه افضى له بكلمة السر عند اجتماعه به ،
ولكنه لزم الصمت ولم يقل شيئا •

وبدا الدوق الحديث بما ورد له من انباء عن القصر تؤكد ان الملك
اخذ يشك به رغم القسم الذي قطعه على نفسه •• فما رأيكم ايها
السادة ؟

فقال احد المجتمعين :

— لقد سمعت احد المقرين للملك وهو صديق حميم لي ، يقول لي :

— قل لمولايك ان يعود الى باريس ، فان هذا البلد لا يوافقك في ايام عيد الميلاد .. ومعنى هذا ان القصر يشك بك كما تقول ، ومن الخير تأجيل ضربتنا الى فرصة اخرى .

ولكن الدوق رفض هذا الرأي ، واخبر المجتمعين انه اذا كان الملك يشك فيه ، فهو على كل حال لن يقدم على قتله ، وانه تقرر ان يكون اليوم الثالث والعشرين موعد العمل ، وان يقتل الملك في الساعة العاشرة من هذا اليوم .

ومضى الدوق يقول :

— وسيتولى كل واحد منكم قيادة فرقة من النبلاء تعطى له اسماء رجالها ، ومن حق كل منكم ان يرفض من هذه الاسماء من يشاء رفضه ممن لا يثق به ، وليكن الجميع متأهبين في الساعة الثانية من مساء الثالث والعشرين من شهر كانون الاول في الاماكن التي سنعينها لكل فرقة .

وسيبدأ الهجوم من ثلاثة مواضع ، ويتولى قيادة الهجمات انا وشقيقي ، وقد اوحى الينا الملك بهذه الخطة الجديدة عندما اعطانا مفاتيح القصر .

ولما وصل الدوق في حديثه الى هذا الحد قرر (مورفر) مغادرة القصر بعد ان حصل على ما يريده من المعلومات ، واسرع الى غرفته دون ان يظن احد في الفندق لوصوله ، وخلع ثيابه ، وتظاهر بالنوم العميق .

ولما انتهت الجلسة غادر منفيلا القصر مسرعا ليتأكد من وجود (مورفر) في الفندق ، فلما وصل الى غرفته وشاهده نائما ، قال في نفسه :

— لقد اساءوا الظن بصديقي .. فما هو من اهل الخيانة ، وما الذي سوف يكسبه من خيانة الدوق ، الذي وعده بمركز عظيم عند نجاح الانقلاب .

« ولم يبق عليّ بعد هذا الا ان احذر مما يبيت له حتى لا يصاب
بسوء » .

وايقظ منفيّل ، صديقه من نومه ، وسأله عن السبب في عدم حضوره
الاجتماع في قصر الدوق الذي انبأه بخبره ، فاجابه : اسبب بسيط وهو
انهم لم يدعوني اليه . . . وسيسأل عني الدوق كثيرا في المستقبل ، اذا كان
قد سأل عني في هذا الاجتماع .

وايقن منفيّل ان صديقه مقضى عليه بالموت ، ما دام الدوق وجماعته
قد اخذوا يشكون به ، فنصحته بمغادرة المدينة ، واخبره ان الجماعة
يتهمونه ، وانه يحسن به الهرب من وجههم ريثما تهدأ العاصفة .
سأله مورفر :

— متى تريد ان اغادر المدينة ؟

— في هذه الليلة .

— وكيف اسافر ولا مال لدي ، وقد وعدني الدوق بمبلغ من المال لم
يدفعه اليّ منذ خمسة اشهر .

عرض منفيّل على صديقه ان يشاركه في المبلغ الذي يملكه ، وهو
عبارة عن مائتي دينار . . . يمكنه من الهرب من وجه اعدائه .

فوافق (مورفر) بعد تردد ، ولكن منفيّل كان حاسما في حديثه ، وقد
اخبره انهم اذا صدروا اليه بالامر بقتله ، فسيضطر ان يفعل رغم صداقته
له ، فقرر مورفر عندئذ ان يعمل بنصيحته ، وارتنى ثيابه ، واعطاه منفيّل
كلمة السر التي تمكنه من الخروج من (بلوا) ، وغادر الفندق لا يلوي
على شيء ، بعد ان ركب جواده ، ولكنه لم يتوجه الى باب المدينة ، بل
الى القصر الملكي حيث طلب مقابلة الملكة ، فلما مثل امامها ، قال لها :

— لقد عرفت الان يا سيدتي اليوم . . . والساعة التي قرر فيها الدوق

قتل الملك •

فارتعشت الملكة وقالت له :

— قص عليّ تفاصيل المؤامرة •

فقال مورفر :

— ارجو من جلالتك اولا ان تأمرني بان يخرج فارس من باب المدينة •

— لماذا ؟

— لانهم يحسبون اني غادرت البلد في هذه الساعة على جوادي ، فاذا
سألوا غدا حراس الباب ، واكدوا لهم خروج فارس في الليل اطمأنوا
وهذا روعهم •

فنادت الملكة عندئذ رئيس حراسها وامرته ان يرسل فارسا الى البرج
الواقع خارج المدينة ليتأكد من عدم وجود بعض الهيكونات فيه •

وبعد ان خرج رئيس الحرس ، قص عليها مورفر ما سمعه ، وطلب
منها ان تسمح له بالاقامة في القصر لانه يستحيل عليه بعد اليوم الظهور في
المدينة فارسلت خلف الفلكي ريجياري وامرته ان يجهز لمورفر غرفة في
شقته ، التي لا يحاول الوصول اليها احد لخوفهم من سحره وشعوذاته •

وذهب ريجياري بمورفر الى غرفة حسنة الرياش ، واخبره انهم
سيأتونه بطعامه اليها ، ونصحته بفتح النافذة اذا ضجر من الوحدة فيشاهد
الارض والنهر والغابات منها ••• وحذره من ان يراه احد •

فلما اقبل الفلكي في صباح اليوم التالي لزيارة الملكة وتلقي اوامرها،
التقى كيرلون رئيس حراس الملك ، فطلب منه هذا خدمة صغيرة مقابل

الخدمات العديدة التي قدمها له ، فاجابه الفلكي :
— انا على استعداد للقيام بآية خدمة تريدها مني •
فقال كيرلون :

— انني مضطر لاسباب خاصة بخدمة الملك انْ اخبيء في هذا القصر
قريبا لي •• ولما كنت اعلم انك تعيش في عزلة عن الجميع فلا يدنو احد
من غرفك ، فقد قررت اخفاء هذا النسيب عندك •
فقال الفلكي في نفسه :

— انني ساضع نسيب هذا الصديق الباسل في غرفة قريبة من غرفة
(مورفر) فيكون عندي ضيفان بدلا من ضيف واحد •
واتفق الصديقان على الاثر ان يأتي كيرلون بنسيبه في الساعة
السادسة من مساء اليوم نفسه •

وجاء بارداليان في الوقت المعين حيث استقبله كيرلون واخذه الى
شقة الفلكي دون ان يراها احد •• وكانت تقع في الدور الثاني من
القصر •

ولما وصل الاثنان الى غرفة الفلكي ، عرفه كيرلون على بارداليان ،
وقدمه له كأنه نسيبه ، ومن الغريب ان الفلكي لم يعرف بارداليان الذي
سجنه في الباستيل منذ ستة عشر عاما ، واراد قتله بالآلة الهاصرة ، كما
وصفنا ذلك في كتاب سابق ، فرحب به الفلكي ، واخذه الى غرفة خالية
لها ثلاثة ابواب وقال له :

— ان باب هذه الغرفة يشرف على غرفتي ، وبابها الثاني يشرف على
الرواق ، وبابها الثالث يؤدي الى غرفة اخرى ، فلا تكثر من الحركة لانه
يوجد بجوارك رجل آخر يريد الاختفاء مثلك •

لما تركه وشأنه ، واقتل الباب عليه قال بارداليان في نفسه :

ب من يكون هذا الرجل الذي يريد الاختباء في القصر مثلي ؟
ولكنه لم يفطن بالتأكيد ، ولم يخطر على باله ان يكون هذا الرجل
(مورفر) •

★ ★ ★

رأت فوستا ان تتقرب الى البابا في هذه الفترة من الزمن ، وذلك قبل
اليوم المعين لقتل ملك فرنسا ، فارسلت له رسولا ومعه كتاب منها ، تعلن
فيه استعدادها لعدم العودة الى روما ، والتوقف عن معاداة البابا ، شرط
ان يصدر الحبر الاقدس امرا بطلاق كاترين دي كليف زوجة الدوق دي
كيز منه ، فوافق البابا على ذلك بعد ان درس الموقف ، وعاد رسول فوستا
اليها بقرار الطلاق ، فدعت عندئذ الدوق دي كيز لمقابلتها في الواحد
والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٥٨٨ ، واخبرته انها تريد منه
الزواج بها حالا ، فلما اعترض بوجود زوجته ارته امر البابا بالطلاق ،
وطلبت منه التوقيع عليه فوافق بعد تردد ، خصوصا بعد ان هددته بانه
ان تردد ولم يفعل كشفت امره للملك وارسلته الى المشنقة •

وبعد ان وقع الدوق امضاءه على صك الطلاق صاغرا ، فتحت فوستا
باب القاعة الكبرى فظهر للدوق ما ادهشه اذ رأس هيكل اقيم في وسط
تلك القاعة ، ورأى الكردينال دي بوروبون بالملابس الكهنوتية ، والكردينال
دي لورين ، والدوق مايان ، والدوقة دي نيمور والدوقة شقيقة دي كيز ،
وهم جالسون على كراسيهم ينتظرون هذه الحفلة التي كانوا يتوقعون ان
تكون •

والتفتت فوستا عندئذ الى الدوق دي كيز وقالت له :

— قدم ذراعك لخطيبتك وسر بها الى الهيكل •
فتنهذ الدوق وامسك بذراعها ، ولو استطاع لقتلها ومشى بها الى
الهيكل •
ولما اصبحا امام الهيكل رفعت فوستا الامر القاضي بطلاق الدوق من
زوجته الى الكردينال دي بوريون وهي تقول في نفسها :
— لقد اصبحت الان ملكة فرنسا ، وقبضت على زمام الامر فيها •

★ ★ ★

اجتمعت الملكة الى وادها الملك هنري الثالث في غرفته التي كان لها
باب يشرف على الردهة الخاصة بالانتظار •
وكان لهذه الردهة ثلاثة ابواب ، احدها يشرف على القاعة والثاني
على الغرفة التي ينام فيها الملك ، والثالث القائم الى اليسار على رواق
داخلي ، ثم على سلم يؤدي الى قاعات الملكة •
وكان من عادة دي كيز ان يزور الملك كل يوم فيدع حراسه عند
السلم ويصعد الى الردهة فيسأل من فيها عن الملك فيخبروه اذا كان في
غرفته الخاصة ام في غرفة نومه ، فيدخل اليه •

وكانت الملكة وولدها يتحدثان في صباح هذا اليوم المعين لقتل الملك
كما قدمنا عن الاستعدادات التي اعدتها كاترين لدرء هذا الخطر والقضاء
على الدوق •• بعد ان اصدر الملك امره الى رجاله بان يفعلوا ما تأمرهم به •
وقد قامت الملكة بعد ان تحدثت الى ولدها ففتحت بابا كان يقف وراءه
ثلاثون نبيلًا من رجال الملك ، فاختارت عشرة من هؤلاء النبلاء وقالت لهم :
— تنحصر مهمتكم في الوقوف عند باب غرفة الملك والخناجر في

أيديكم ، وإياكم ان تبرحوا مكانكم هذا مهما سمعتم من الاصوات في
الغرفة المجاورة ، وإذا حاول احدهم الدخول الى غرفة الملك ، وادركتم
انه من الخصوم فلا تدعوه يصل اليه الا على جثثكم .

ثم عادت واختارت عشرة آخرين قالت لهم :

— انتم تبقون في القاعة الكبرى ، فإذا علمتهم بدخوله الى الردهة
فاغلقوا الباب ، وقفوا خلفه وسيوفكم في أيديكم فإذا حاول احد الوصول
الى غرفة الملك فموتوا قبل ان يصلوا اليه .

وبعد ان اقساموا ان يفعلوا ، دنت الملكة من ثلاثة من النبلاء وهم
كالابر ، وسانت مالين ، وموتساري ، الذين انقذهم بارداليان من
الباستيل فقالت لهم :

— ادخلوا انتم الى القاعة وانتظروني ..

ثم التفتت الى السبعة الباقين وقالت لهم :

— واما انتم فاصغوا اليّ .. ان الدوق سيدخل الى هذا المكان، فلا
يجد الملك في القاعة ، فيسألکم عنه ، فتقولون انه في غرفته الخاصة ،
فيذهب اليها وتقضون في مكانكم ، فإذا استغاثوا بكم وطلب زملاؤكم
النجدة اسرعتهم اليهم ، وان لم يفعلوا فلا تبرحوا مكانكم ، وإذا هوجم
الذين في القاعة فاقفلوا هذا الباب ، وموتوا في مكانكم قبل ان تمكنوا
احدا من الوصول الى غرفة الملك .

واخيرا ذهبت الملكة الى القاعة الكبرى حيث كان بانتظارها فيها
الرجال الثلاثة الذين انقذهم بارداليان من الباستيل ، وقالت لهم :

— لقد اخترتكم لقتل الرجل الذي اراد قتلکم ، فاعلموا اذا ان الدوق
سيحضر للقصر ، وسيمر بالقاعة وهي مخفورة ، وبالردهة وهي مخفورة ،
وبغرفة الملك وهي كذلك ، فلا بد اذن ان يصل اليكم اخيرا ، فلا تدعوه
يخرج من هنا حيا .

وما كادت الملكة تغادرهم الى غرفتها ، حتى نقلوا الطاولة التي كانت في وسط القاعة الى زاوية فيها ، ووضعوا الكراسي بقربها ، حتى لا يتمثر احدهم بها وهو يقاتل الدوق .

وقال احدهم اخيرا :

— لقد نسينا باب السلم المؤدي الى الطابق الاعلى ، والطابق الاسفل من القصر .

فقال له الثاني :

— اذهب واقفله .

فذهب كالابر لا قفال الباب ، ولكنه قبل ان يصل اليه دخل منه رجل وقال لهم :

— سلام عليكم ايها السادة ، كيف حالكم بعد خروجكم من الباستيل؟

وذهل الثلاثة وصلحوا بصوت :

— بارداليان .

سأله احدهم ان يذهب .. لان الموقف خطير ، ولا يستطيعون استقباله في هذه اللحظة .

فقال بارداليان :

— بل تشجعوا ايها الاصدقاء فان الدوق لا يزال بعيدا .

واسقط في يد الاصدقاء الثلاثة حين ادركوا انه يعرف ما هم في سبيله

.. ووضعوا ايديهم على خناجرهم ، فقال لهم بارداليان باسم :

— اعيدوا خناجركم الى اماكنها ، فاني قد استطيت قتلكم فلا تتمكنون

والحالة هذه من قتل الدوق .. واذا اسم امكن من قتلكم تمكنست من

الوصول الى النافذة وانذار رجال الدوق بالخطر ، فيفشل مشروعكم ..

ثم ان صديقي الراهب الذي كلفكم الملك بقتله ولم تقتلوه ، مستعد لاذنار

الدوق اذا تأخرت عن الاشارة اليه .. فليهدأ روعكم والحالة هذه .
واصفرت وجوه الفرسان الثلاثة .. لقد اقساموا للملك والملكة انهم
قتلوا الراهب جاك كليمانت ، فاذا علم الملك بكذبهم فان مصيرهم الاعدام
بالتاكيد .

قال كالابر بعد ان تما لك روعه :

— ما الذي تريده ؟

— انكم كما تعلمون لا تزالون مدينين لي بحياة رجل واحد وقد جئت
اسألكم وفاء هذا الدين .. ولهذا اريد منكم حياة الدوق دي كيز .
وكانت ساعة هائلة اخذ الثلاثة فيها يعضون ايديهم من شدة اليأس .

وقال كالابر لرفيقه :

— اذا قتلنا الدوق بعد ان طلب بارداليان منا ان لا تفعل خسرنا شرفنا،
واذا لم نقتله قتلنا الملك ، فاعمد خنجرك في صدري فهذا خير لنا من هذه
الحياة .

فقال بارداليان :

— لننتق اذن على تسوية لهذه القضية .

برقت عيون الثلاثة املا ، وقالوا :

— تكلم .

— هبوني حياة الدوق لعشرة دقائق فقط ، لاني اريد ان اقول لهذا
الرجل كلمة قبل ان تقتلوه .. ثم اتركه لكم .. ان الدوق سيدخل الى

هذه الغرفة اليس كذلك ؟

فاجابوا بالايجاب .

— واذا دخل لم يعد يستطيع الخروج .

فقال احدهم :

— انه يستطيع الخروج من السلم •
— اذهبوا احراسة السلم •• واتركوه لي لمدة عشرة دقائق فقط •
وسمعوها في هذه اللحظة وقع حوافر الجياد ، وصليل السيوف ،
فادركوا ان الدوق قد وصل •
فقال احدهم لبارداليان :
— اتقول عشر دقائق •

— نعم •• وهي قد تنقص ولكنها لن تزيد •
فلم يسع الثلاثة الا الامتثال وغادروا القاعة الى باب السلم لحراسته •
وبعد قليل دخل الدوق الى الغرفة ، فلم يشاهد بارداليان الا بعد ان
اصبح في داخلها واقفل الباب خلفه •• فظن الدوق عند دخوله ان الملك
غير موجود في الغرفة ، وشاهد بارداليان ، يبتسم في وجهه ، فاصفر من
الخوف وحاول العودة من حيث اتمى ، فاذا الباب مقفل ، فادرك انه اسير
•• فالتفت لبارداليان وقال :

— من انت •• وماذا تفعل هنا ؟

— انا الذي صفعك منذ ستة عشر عاما في قصر الاميرال كوليني ••
وانا الذي لقبك بالمصفوع في ساحة الاعتصاب منذ ثمانية اشهر ، وانا
الذي سلمت نفسي اليك في فندق دفينير لانتقاذ امرأة منكودة فدعوتني
جباناً ، فقلت لك •• سوف ارد هذه الكلمة الى صدرك برأس السيف ••
هنري دي كيز •• تسألني ماذا اريد ، فاقول لك •• اني اريد دمك لاغسل
هذه الالهانة •

★ ★ ★

صاح الدوق يقول :

— هلموا ايها الجنود .. واقبضوا على هذا المجنون .

وحاول ان يفتح الباب فسمع اصواتا من الخارج تقول :

— تشجعوا .. واقتلوه .

فامتقع وجهه وادرك انه سقط في كمين .

وقال بارداليان :

— لم يبق امامك الا ان تقتلني ، ثم تقتل ثلاثة آخرين بانتظارك لتخرج

من هذا المكان حيا .

امتشق الدوق حسامه عندئذ ، وهجم على بارداليان .

ونشب بين الرجلين قتال هائل ، وبعد قليل افلت سيف الدوق من يده ،

وهوى صريعا الى الارض ، بعد ان اخترق حسام خصمه صدره ، ونفذ

الى ظهره .

واعاد بارداليان سيفه الى غمده وهو يقول :

— لقد غيرت بسيفي هذا تاريخ فرنسا .

ثم مضى الى الثلاثة الواقفين خلف الباب المؤدي الى السلم وقال لهم :

— لم تنقض الدقائق العشر .. ومع هذا فقد تخلت لكم عن الدوق

فعودوا اليه .

وتركهم وصعد السلم الى غرفته عند القلعي .. واسرع الثلاثة الى

القاعة فذهلوا حين شاهدوا الدوق ميتا .. اذ لم يكن يخطر ببالهم ان

يتمكن منه بارداليان بهذه السرعة .

ورفع الدوق عينيه في هذه اللحظة .. وادرك الثلاثة عندئذ انه لم

يزل فيه رمق من الحياة ، فاسرعوا يجهزون عليه .

ثم فتح الباب ودخل من كانوا في الخارج واشتركوا في ضربه

بخناجرهم وسيوفهم .

وغادر الملك غرفته الى القاعة ، ثم وضع رجله على رأس الدوق وقال :
— لقد اصبحت وحدي الان ملك فرنسا .. وكان الدوق قد وضع
قدمه منذ سنوات مضت على رأس الاميرال كوليني .. بعد ان قتل غدرا .
وكان لخبر مقتل الدوق دوي عظيم بين اصحابه ، فاخذوا يهربون لا
يلوون على شيء .. وارسل الملك بعض جنوده للقبض على اخوي الدوق ،
وكبار انصاره .

ولقد ذهب بارداليان بعد ان قضى على دي كيز الى غرفته ، حيث
كان قد تمكن من مورفر جاره في الغرفة المجاورة واوثقه ، وكم فمه حتى
لا يستطيع صراخا .

وبعد ان نزع الكمامة عن فمه والقيود من يديه ورجليه ، امره ان
يتقدمه ، لانهما سيغادران القصر ، وانذره ان حاول الهرب بالموت حالا .
ولما وصلا الى الباب الكبير .. تصدى لهما الجنود ، ولكن كيرلون
كان هناك ، فقال له بارداليان :

— نريد مغادرة القصر يا مسيو دي كيرلون .

فنظر اليه رئيس حرس الملك نظرة اعجاب واكبار ، وقد علم انه هو
الذي قتل دي كيز في قتال شريف بالسيف ، فرفع قبعته احتراما ، وامر
الجنود ان يحيوه التحية العسكرية .

وبعد ان اصبحا خارج القصر ، انضم اليهما جاك كليمانت حيث
خرجوا جميعا من باب المدينة .

وبعد ان ساروا مدة من الوقت ، وقفوا امام كوخ مهجور ادخل
بارداليان مورفر اليه ، وبعد ان اوثقه وقيده ، طلب من جاك حراسته
ريثما يعود اليه .

- ٤ -

نهاية مورفر

كانت (فوستا) قد استعدت للانقلاب الجديد ، فارسلت رسالة منذ صباح اليوم الذي قتل فيه الدوق دي كيز الى الكسندر فرنيز تستعجله بالاسراع الى باريس ، لانها كانت تعتقد ان رسالتها الاولى قد وصلت اليه ، وانه قد دخل الاراضي الفرنسية ، ولو علمت ان بارداليان قد تمكن من هذه الرسالة ، لبدلت موقفها .. ولفكرت كثيرا .

وكانت قد قررت ان تعود الى باريس بعد مقتل الملك ، لتحتفل بزواجها على الدوق في كنيسة نوتردام ، وتضع تاج فرنسا على رأسها .
وفجأة سمعت اصواتا في الشارع ، ثم وقع حوافر الجياد وهي تجري بفرسانها لا تلوي على شيء .

دب الرعب الى قلبها ، وارادت ان تسأل احد خدمها ، ولكن الكلام احتبس في لسانها ، فقد خشيت ان تعلم بانها اراد احلامها ، وفشل محاولة قتل الملك .

واقبل اليها احد خدمها يقول :

— ان بالبَاب رجالا من النبلاء يريد مقابلتها •• وانه رفض ان يذكر اسمه •

واقبل الرجل ، فجمدت فوستا في مكانها ، وقد تولاه رعب شديد •
ذلك ان هذا الرجل لم يكن غير بارداليان •• وهي التي كانت تحسبه في عداد الاموات •

رفع بارداليان قبعته وتقدم اليها يقول :
— اتشرف يا سيدتي باخبارك اني قتلت الدوق دي كيز •• واقصد انذرتك سابقا اني لن اسمح له بالوصول الى العرش ، كما اخبرتك اني سأقف ابدا في وجه مطامعك واحلامك •

صاحت تقول :
— بارداليان •• بارداليان ••
ولم يكن باستطاعتها ان تقول غير هذه الكلمة •

وقال بارداليان :
— انا هو بلحمه ودمه •• لقد تكلفت كثيرا من السبل الدنيئة للوصول الى اغراضك ، حتى لقد امرت بقتل فتاة بريئة في الدير كما تعلمين •• ولهذا رأيت ان لا بد من سحقك بعد ان كنت قد انقذتك من الموت •

وكانت فوستا قد تماكنت نفسها في هذه الساعة ، فمضت تشتتته وتنهمه بالسفك والجبن ، وامسكت سكينها بيدها وهجمت عليه ، فضحك وقال :

— اضربي اذا كنت تجسرين •
وارتجفت يدها ، والقت الخنجر من يدها ، وارتمت على مقعد قريب وهي تبكي •

فتقدم منها بارداليان وقال :

— لقد جئت لانقاذك ، فقد سمعت وانا في القصر ، وحين كان الجنود يقضون على رجال دي كيز واعوانه ، سمعت الكردينال دي كيز يقول :
« ان الخيانة هي من فوستا » • ولا بد ان يأتي رجال الملك للقبض عليك فاهربي •

واشتد الوجد بفوستا •• لقد كانت تحب بارداليان حبا ملك عليها كل عواطفها ، وهي انما ارادت قتله لتقضي على هذا الحب •• ولو بادلها حبا بحب ، لتخلت عن العرش والسلطان واستسلمت له •• ورضيت به •• ولكنه رفض فكان ما كان •

وتحركت من مكانها •• وسعت في هذه اللحظة قرعا على الباب •• وصوت رئيس حراس الملك يقول لرجاله :

— ليفتش هذا المنزل وليقبض على كل من فيه رجالا ونساء ••
وقالت فوستا وقد امسكت بساعد بارداليان •

— اني اريد الحياة •

— لا تخافي ، فلن يقترب منك احد وانا معك •• ايجاد جياد في المنزل ؟

— نعم يوجد اربعة جياد •

— اذا هلمي بنا والتصقي بي ولا تفارقيني •

وتقدم بارداليان الى السلم يدفع حراس الملك واحدا بعد الآخر ، ويلقي عليهم بالكراسي والتحف ، فمن وقف في سبيله قتله او جرحه ، ومن تركه وشأته امن العاقبة •• حتى وصل هو وفوستا الى الاسطبل وركبا جوادين وانطلقا في طريق باريس •

ولما علم كريسون بما حصل ، وعرف ان بارداليان هو الذي هاجم حراس الملك وهزمهم ، ضحك وقال :

— لقد كنت اتوقع ان يكون هو الفاعل ، بعد ان علمت بتفاصيل
الحادثة •

وسمع القصة منفييل وبيسي لكلك وكانا بين الاسرى فعرضا على
كريلون ان يتبعا بارداليان ويقتلانه لحقدهما عليه ، ثم يعودان الى السجن •

فقال لهما كريلون •• بعد ان وافق رئيس حراس الملك على طلبهما :
— اذهبا •• وحاولا ان تغوزا عليه •

ثم التفت الى رئيس الحراس يقول له :

— لا بد انه اساء اليك لتوافق على طلبهما ؟

— انه كسر ساقي •• ولكن هذين الرجلين سينتقمان لي منه •

فقال كريلون :

— اتريد ان تعرف مصيرهما ؟

— نعم •

— انهما لن يعودا •

— لقد اقسما لي بشرفهما على العودة •

— لست اقول انهما سيحشنان بقسمهما •• ولكنهما اذا التقيا

ببارداليان فلن يعودا لانه سيقتلهما •• واما اذا لم يلتقيا به فسيعودان
بالتأكيد •

فقال رئيس الحراس :

— يبدو ان هذا الرجل خطر كبير •

— لقد رأيت من امره معك ومع جنودك ما لا تحتاج معه الى المزيد

مني •• ولكن ما الذي تريد ان تفعله به اذا قبضت عليه ؟

— سوف اشنقه على قارعة الطريق •

— اتحسب ان شنى امير الجيش سهل عليك ؟

فدهش رئيس الحراس وقال :
— وهل بارداليان امير الجيش ؟
— نعم .. انت تبحث عنه لتشنقه ، والمملك يبحث عنه ليعينه في هذا
المنصب .. لانه انقذ الملك من الموت ، وقتل الدوق دي كيز .
واغمي على (لارشان) رئيس الحرس من هول الخبر .. فأمر
كريلون بنقله الى القصر .



عرضت فوستا على بارداليان ان تتزوجه ، بعد الفشل الذي منيت في
اثناء الطريق ، وقالت معتذرة عما اقدمت عليه سابقا ، من انها فعلت ما
فعلت في سبيل المجد والسلطان ..

ولكن بارداليان جمد في مكانه عند سماعه كلامها . وادركت من
جموده انه ليس من الموافقين على ما اقترحته ، فاستبد بها الغضب ، ولكزت
جوادها لكزة قوية لتقطع الغدير ، فتعثر وسقطت بين الامواج ، فأسرع
بارداليان لانقاذها ، فلما فتحت عينيها بعد ذلك ، صاحت به :

— لماذا انقذتني ولم تدعني اموت ؟
فقال لها بارداليان برفق :
— تعالي استندي على ذراعي ، وهيا بنا الى هذا الكوخ القريب لتجف
ثيابك ، وتستأنفي سفرك .
وسارت فوستا معه وهي تبكي ، وقد تأثر الفارس لبكائها ، وغفر لها
ذنوبها الماضية بحقه وبحق الآخرين .
ولما وصلا الى الكوخ اعطى صاحبه دينارا لتوقد النار .

وبعد ساعة من الزمن ، جفت ثياب الاثنين ، فقال لها بارداليان :
— عليك ان تسرعي بالسفر ، فان الجنود يطاردونك *
قالت :
— سأذهب الى فلورانس ، فان لي قصرا ورثته من اسرة بورجيا ،
فهل تذهب معي ؟
فاعتذر بان هناك امورا عليه قضاؤها في فرنسا ، قبل ان يفكر في
مغادرتها *
قالت :
— اذا سأنتظرك في قصري بفلورانس ، بعد ان تنتهي من اعمالك هنا *
قال :
— حسنا * * ولكن الطريق بعيدة الا تخافين ؟
فهزت رأسها بالنفي ، وسألته ان يعمل لانقاذ خادمتين لها قبض عليهما
الجنود في (بلوا) ، فوعدها ان يفعل *
سألها اذا كانت بحاجة الى المال فقالت :
— لا * * لدي مال كثير في اورليان وليون ودافينيون ، فلا احتاج
لشيء *
وغادرته * * ووقف بارداليان يودعها بانظاره حين شعر ان يدا لمست
كتفه ، فالتفت ، فاذا به امام ييسي لكلرك ومنفيل *
لقد اخذت الحوادث على الاثر تجري بسرعة مذهلة *
طلب الرجلان من بارداليان ان يتبعهما الى (بلوا) ، لان الجنود
يطاردونه ، ولانهما مكلفان بالقبض عليه *
وهناهما بارداليان وهو ضاحك من تلونهما ، تارة يكونان مع الدوق ،
وتارة مع الملك * * تارة يعملان جاسوسين ، واخرى يقومان باعمال
الشرطة *

وعض الرجلان على شفتيهما ، وقال له ييسي لكلك :
— اتبعنا راضيا •• لانك ان تفلت منا هذه المرة •
فقال بارداليان :

— اني مستعد للذهاب معكما ولكن ليس الى (بلوا) وانما الى مكان
في ضواحيها حيث تقوم هناك طاحونة ، تشبه الطاحونة التي علقتهما عليها •
فاصفر عندئذ وجه منقيل • ورقص شاربا ييسي ، وامتشقا حساميها
وهجما على بارداليان •

وبعد لحظات طار الحسام من يد ييسي •• فذهب يلتقطه ، فلما عاد
الى بارداليان وجد منقيل قد سقط ميتا الى الارض ، بضربة من سيف
الفارس البطل •

اراد (ييسي) الثأر لصديقه ، ولكن بارداليان اطار له حسامه مرة ثانية
•• وهو يقول له :

— اذهب فالتقط حسامك •

ولكن (ييسي) لم يذهب هذه المرة خلف حسامه • وركع على الارض
وهو يبكي •• فتقدم منه بارداليان يهديء روعه ، ويقول له :

— اني لم اقاتلك مقاتلة العدو ، وانما كنت ابدا ادافع عن نفسي ، واذا
كنت اكثر منك خبرة ب فنون السيف ، فليس الذنب ذنبي •

فقال ييسي بصوت خنقته العبرات :

— لقد سقط شرفي ، وتلوث اسمي •

فقال بارداليان :

— ان الرجل الذي شاهد فشلك الجديد قد مات ، وانا على استعداد
لمبارزتك ، ولكنك لن تفوز عليّ لاني اعرف سبع طرق انزع سيفك من
يدك ، فان اردت علمتك اياها •• فقد تنتصر عليّ في المستقبل •
فسر (ييسي) من هذا الاقتراح ، وقال لبارداليان :

— انت رجل شريف .. ويسوئني ان كنت من اعدائك ، فهل تصافح
اليد التي امدتها اليك الآن ؟

وصافحه بارداليان وهو يقول :

— انت رجل بأسل *

ولما غادر بارداليان المكان ، كان همه البحث عن مورفر .. بعد ان تم
له القضاء على اكثر اعدائه *

وكان بارداليان كما قدمنا قد قيّد مورفر ، وعهد بحراسته الى جاك
كليمانت في كوخ قريب ، فلما وصل اليه ، عرف ان مورفر قد تمكن من
الفرار ، في غفلة من حارسه ، فسأل جاك عن الطريق التي سار عليها مورفر،
فقال له :

— طريق بورجنس *

ولما تهيأ بارداليان لمطاردة مورفر ، سأل (جاك) اذا كان يسمح له
الان بحريته ، ويتركه يفعل ما يشاء *

ففكر بارداليان ثم قال له :

— ذلك شأنك .. فامض في سبيلك *

وفي الطريق لقي فلاحا يسوق مركبة ، فسأل اذا كان شاهد فارسا
يعدو بجواده في هذه الجهة *

فاجابه : انه شاهد فارسا يتوجه في طريق تورس *

ولما وصفه له ادرك انه مورفر ، فمضى يلحق به ، حتى وصل الى
فندق حقير ، فقرر ان يأخذ فيه بعض الراحة لنفسه وجواده *

سأل صاحب الفندق عن (مورفر) ووصفه له ، فانكر الرجل ان
يكون قد مر بفندقه احد بهذه الصفة *

فخشي بارداليان ان يكون (مورفر) قد افلت من قبضته ، وسأل
صاحب الفندق ان يأتيه بطعام وان يعتني بجواده *

ومضى يراقب صاحب الفندق وهو يأكل ، فرا به امره ، كما رابه امر
خادميه ، فايقن انه بين لصوص وان عليه ان يحذر .

وبعد ان انتهى من طعامه ، اخذ يفكر ، ثم احس بالنعاس يدب الى
اجفائه ، وفيما هو يحاول ان يطرد النوم عنه ، حذرا على نفسه ، رأى
صاحب الفندق وخادميه من مرآة امامه يتقدمان من خلفه .. وقد شعر
الجميع خناجرهم ، وسمع احدهم يقول لرفيقه همسا :
- لقد حانت الفرصة .. فانه نائم .

انتظر حتى اصبحوا جميعا على مقربة منه ، فوثب من مكانه ، وضرب
الخادمين بكلمات يديه ، فسقطا ارضا ، ثم التفت الى صاحب الفندق الذي
جمد في مكانه ، من هول المفاجأة ، وقال له :
- هيا تقدم .

وادرك صاحب الفندق انه ميت ، بعد ان شاهد قوته الهائلة فركع
وهو يقول :

- رحماك يا سيدي واعف عني احداثك بكل شيء .
- تكلم .

- لقد سألنا احد النبلاء ان تقتلك ، ودفع لنا اجرا على قتلك ، وهو
الرجل الذي سألتني عنه عند وصولك ، وانكرت رؤيته .
- ومتى برح الفندق ؟

- منذ خمس ساعات .. وبعد ان وصف لي صورتك ، طلب منا
قتلك ، ولكنني اشعر الان انه من اهل الشر ولولا ذلك لوقفت في وجهك ،
ولما كلف غيره بمواجهتك ، وقد سافر في طريق بورجنس ، وان ادعي انه
سافر في طريق (تورس) .

مضى بارداليان ليله في الفندق ، وفي الصباح غادره لمطاردة (مورفر)
حتى وصل الى (بورجنس) وبلغ الضفة ، وشاهد القارب الذي ينقل

المسافرين عبر النهر ، فصعد اليه بجواده ، ومضى به النوتي ، حتى بلغ منتصف النهر ، فهز القارب بالمجذاف هزة عنيفة ، فانقلب جواد بارداليان وسقط في النهر .

وتمكن بارداليان بعد ان اخرج قدميه من ركاب الجواد ان يصعد الى سطح الماء ، فشاهد النوتي يسرع الى الضفة ، دون ان يكثرث به ، او يحاول انقاذه ، كما سمع صوت رصاصتين تقعان بالقرب منه ، فايقن انه القاه في النهر خصيصا ، وانه من اعوان مورفر .

ولما بلغ الضفة ، سار الى احد الفنادق حيث جفف ثيابه ، وتناول بعض الطعام والشراب . ثم عاد الى الضفة فوجد النوتي ، فسأله ان ينقله الى الضفة الثانية وحذره ان يسقطه مرة ثانية في النهر . لاني عندئذ لن ادفع لك اجرک ، وساغرمك ثمن جوادي .

فاطمأن النوتي الى انه لا يشك به ، واعتذر بأن الجواد اجفل فاهتز القارب وكان ما كان .
ثم قال له :

— ارجو ان يكون سيدي قد عرف الشقين اللذين اطلقا عليه الرصاص ؟

— وكيف عرفت انهما اثنين ؟

— لقد شاهدتهما بعيني .

فقال بارداليان :

— واما انا فلم ارهما ، وقد افلتا من يدي . واما انت فلن تفلت ابدا .

وقبض على عنق النوتي ، واغرق رأسه في الماء وهو يقول :

— اعترف بانك حاولت اغراقي او تموت .

وكاد النوتي يجن من الخوف ، واعترف لبارداليان اخيرا بان (مورفر)

هو الذي كلفه بذلك مدعيا انه اي (بارداليان) من الهيكونوت .

- ولما سأله اين ذهب مورفر ، اجاب ،
 - انه في بورجنسي ، وقد اقام في فندق الاسد الذهبي ، ولم يذهب
 الى اوراليان •
 فقال بارداليان :
 - عد بي الى الضفة حالا •
 ولما وصل بارداليان الى الفندق قال لصاحبه :
 - اني قادم يا سيدتي من (بلوا) حيث قتل الدوق دي كيز •
 فالتفت حوله الناس يسألونه عن الاخبار ، فقال لهم :
 - اني اطارد احد قتلته •
 واعطاهم صفة (مورفر) •
 فقالت صاحبة الفندق وهي تدق يدا بيد :
 - لقد كان الشقي هنا منذ ربع ساعة فقط ، والان عرفت السبب في
 اسراعه بالهرب •
 فقال بارداليان :
 - وكيف كان ذلك ؟
 - لقد وصل اثنان من شركائه وتحدثا اليه همسا ، فهب مذعورا
 وغادر الفندق •
 فادرك بارداليان ان الرجلين هما اللذين اطلقا عليه النار واخطاه ••
 واعطى صاحبة الفندق بعض المال للحصول على جواد ليتبعه •
 فقالت :
 - بل تحصل عليه بدون مال •
 - اتعلمين اية طريق سلك ؟
 - طريق شاتورين •



اسرع بارداليان في طريق شاتورين ، حتى بلغ غابة (مارتنوار) التي
كان واثقا ان (مورفر) لا بد ان يمر بها •
وبعد قليل سمع صهيل جواد في الغابة ، ثم شاهد فارسا يتقدمه •
فابتسم ابتسامة هائلة لان هذا الفارس لم يكن غير مورفر •
وكان (مورفر) قد انخلع قلبه خوفا ورعبا حين ادرك ان بارداليان
يطارده ، وانه سوف يصل اليه ، بعد ان فشلت كل محاولاته لقتله •
وفي هذه اللحظة عثر جواد (مورفر) بصخر فكبا ، وقفز مورفر منه
دون ان يصاب بأذى •
ولما التفت حوله شاهد (بارداليان) لا يبعد عنه اكثر من ثلاثين خطوة
• • وقد اخذ يترجل عن جواده •
تمالك نفسه واخرج غدارته ، واطلق النار •
ولكنه اخطأ الهدف لان يده كانت ترتجف •
ثم اخذ يتراجع وهو ينظر الى بارداليان حتى التصق بشجرة كبيرة ،
فجمد في مكانه ، وبارداليان ينظر اليه لا يرفع عينه عنه •
سأله بارداليان لما اصبح قدامه :
— لماذا غدرت بي بعد ان عفوت عنك فوق هضاب مونمارتر ؟
واحسب الكلام على لسان (مورفر) فلم يقل شيئا •
ومضى بارداليان يسأله :
— ولماذا قتلت لويزا وهي لم تسيء اليك ابدا • • ولماذا رحمت تستاجر
الناس لقتلي • • ؟ • • والان حدثني كيف تريد ان تموت ؟
ولم يجبه مورفر •
ولم يفتن بارداليان الى ان خصمه قد ثقل تنفسه وتهالك جسمه ،
كأنما هو في حالة النزاع •
ودنا منه بارداليان ووضع يده على كتفه وهو يقول :

— لقد خيرتك بالميتة التي تريدها فلم تجبني •
فتح مورفر فمه واطبق عينيه •• وبقي مستندا الى الشجرة وقد التوى
ساقاه ، ولو رفع بارداليان عنه يده لهوى ارضا •
ولكن بارداليان لم يفتن الى الخوف العظيم الذي ملا قلب مورفر •
وراح بارداليان يقول :
— لقد عفوت عنك يا قاتل لويزا •• لانك لا تستحق الموت •
ورفع بارداليان يده عن كتفه ، وهوى مورفر الى الارض • فذهل
بارداليان ، وحنى رأسه يفحصه ، فاذا به قد مات •• من الخوف •

مقتل ملك فرنسا

عاد بارداليان بعد موت (مورفر) الى (بلوا) فوصلها في اليوم التالي، فشاهد كريلون قائد حراس الملك يطارد قوما من انصار دي كيز، فساعده عليهم فلما اقبل يشكره قال بارداليان له :

— لست اريد شكرا ، وانما اريد خدمة متواضعة ، وهي ان جماعة من الحرس قبضوا على خادمتين لفوستا ، لا علاقة لهما باعمالها ومكايدها فهلا اطلقت سراحهما •

فوعده كريلون ان يفعل وان يخرج بهما الى ظاهر المدينة • فشكره بارداليان وقال له :

— قل لهما ان ينتظراها في اورليان، وهما يفهمان ما يجب عليهما عمله • فقال له كريلون :

— سأفعل •• وبهذه المناسبة عليك ان تحذر من (لارشان) فهو غاضب ناقم عليك •

— وما الذي يستطيع عمله ضدي ، اريد ان اكسر له رجله الثانية ؟

فضحك كريلون وقال :

— انه لا يجسر على عمل شيء ضدك ما دام الملك يحميك .. تعال
معي اقدمك الى جلالتة .

ولكن بارداليان رفض هذا العرض ، وقال له : اذا سألك الملك عني
فقل له انك لم ترني .

فعجب كريلون ، كيف يهرب بارداليان من لقاء الملك .. والملك يبحث
عنه ليغدق عليه نعمه ، فيما يبذل الكثيرون ما يملكون للوصول الى
جلالته ، والوقوف على ابوابه .

وعلم بارداليان وهو في (بلوا) ان الدوقة دي مويتبانسيه شقيقة
الدوق دي كيز والتي حاولت اكثر من مرة اغراء جاك كليمانت على قتله ،
والتمويه عليه بانها تحبه ، قد تمكنت من النجاة بجلدها والفرار من (بلوا)
.. وان رجال الملك لم يظفروا بغير الكردينال شقيق الدوق الذي صار
قتله .

وكان بارداليان يحاول العودة الى باريس بعد ان سافر الملك الى
(امبواز) .. وعين كريلون حاكما على (بلوا) .. ولكن كريلون كان
يكره بارداليان على البقاء معه ، حتى جاءت الاخبار بأن (مايان) قد جمع
جيشا كبيرا انضم اليه الناقمون من الشعب ، وانه يحاول الزحف الى
باريس على رأسهم .

والتقى بارداليان بجاك كليمانت في احد شوارع (بلوا) وهو في
ملابس الرهبان ، فسأله هذا ان يساعده للوصول الى القصر والدخول
اليه ، فاجابه بارداليان وقال له :

— ليس من عادتي ان اساعد احدا على قتل آخر ولو هاجمك عشرة

ملوك لدفعتهم عنك وقتلتهم ، واما الكيد للملوك والتآمر فهذا ليس من شأني •

واقبل كريلون في هذه الاثناء فلما شاهد بارداليان مع الراهب سأله :
- اتعرف هذا الراهب ؟

- نعم •

- هذا يكفي •

ثم التفت الى (جاك كليمانت) وقال :

- ان كاهن القصر غائب عنه •• وقد طلبت ام الملك كاهنا تعترف له
فاتبعني •• فان الله قد ارسلك في هذه اللحظة •

وقبض جاك على ساعد بارداليان وقال له :

- اسمعت •• لقد ارسلني الله اليه •

فنظر بارداليان الى السماء وقال :

- لا حيلة بمغالبة القدر •

لقد كان (جاك) يريد الوصول الى الملك •• ولكنه رضي بالذهاب
الى الملكة لان هذا يساعده على الدخول الى القصر في المستقبل ، وقد
سرت (كاترين) وكانت مريضة حين عرفت انه غريب ، فقد ارضاها ان
تعترف باثامها لكاهن غريب ، بدلا من كاهن القصر •

سأله الملك ولدها •• فقال :

- انه في (امبواز) •• يا سيدتي •

قدمت عيناها وقالت :

- سأمت دون ان اراه واسفاه •

واخذت تعترف للراهب بانها قتلت عشرين شخصا لخير الملكة •

فقال جاك :

— ليست هذه الذنوب خطيرة فامضي في حديثك •
فتهلل وجه الملكة وقالت :

— واعترف ايضا ان مونغوميري قتل زوجي هنري الثاني •• ولم
يكن هذا القتل من قبيل الصدفة كما توهم الناس •
فقال جاك :

— ولكن زوجك اساء اليك كثيرا •

فسرت كاترين ، واعترفت ايضا بانها قتلت ملكة النافار بواسطة الققاز
المسموم الذي ارسلته لها •

واعترفت ايضا بان ولدها شارل التاسع كان من الممكن ان يطول
عمره ، لو لم تكن راغبة في جلوس ابنها الدوق دانجو مكانه •

كما اعترفت بانها قتلت كوليني •• وانها هي التي امرت بقتله •• كما
قتلت عدة الاف من اتباعه ، ولكنها فعلت هذا كله لخير الكنيسة •

ولما انتهت من اعترافاتها هذه ومن اعترافات اخرى مماثلة ولكنها اقل
خطرا وهولا ، طلبت من الكاهن ان يحلها من ذنوبها •• حتى لا تموت
ملعونة مغضوبا عليها من الله •

فقال جاك وقد انتصب واقفا :

— اذا موتي ملعونة مغضوبا عليك من الله والناس •

« لقد نسيت ان تعترفي بقتلك اليس دي ليكس •• التي هي امي ••
ايي لن اطلب من الله ان يغفر لك خطاياك •• بل ازجك بيدي في جهنم ••
وتعلمي قبل ان تموتي •• انا الذي سيقتل ابنك هنري الثالث » •

فصاحت الملكة صيحة منكرة حين سمعت هذا الكلام ، واهتز جسمها

اهتزازا عنيفا ثم اسلمت الروح *
وفي اليوم التالي عاد الملك الى (بلوا) .. فلما علم بموت امه امر
بدفنها دون ان يحزن على موتها *

ولما غادر (جاك كليمانت) القصر التقى بارداليان ، فعرف منه ان
الملك سيعود الى باريس لصد جيش الدوق دي مايان ، فقرر الذهاب
بدوره الى باريس ، وخلع ملابس الرهبنة ولبس ملابس الفرسان *
وغادر بارداليان (بلوا) ايضا الى ايطاليا بعد ان رفض عرض
(كريلون) بتولي قيادة فرقة من فرق الملك ، وعرج في طريقه على اورليان
حيث زار صديقه الدوق دانجلوم وامراته البنفسجية وامه ماري توشيت،
فلقى من احتفاء الاسرة به ما اسال دمه وابكاه *

وقد ضحك كثيرا حين شاهد كرواس ويكوسي يلبسان الثياب
المزركشة يقومان بخدمة الاسرة ، وقد نسيا فاقتهما القديمة ، وجوعهما
السالف *

واقام بارداليان عند الدوق يوما وليلة ، وقد بكوا لما انبأهم بعزمه
على السفر ، واخذوا منه عهدا ان يعود اليهم *

ولما وصل الى احد الفنادق في الطريق ، واخذ يخلع ملابسه احس بثقل
فيها ، فبحث .. فوجد خمسمائة دينار قد وضعت في اكياس صغيرة من
الحرير ، ووزعت هنا وهناك ، ووجد معها كتابا من (ماوي توشيت) تقول
فيه .. انها هي التي وضعت هذا المال في جيبه ، لنفقات سفره ، على ان
يردها اليها في المستقبل *

ولقد وصل بارداليان الى فلورنسا في اواخر شهر نيسان ، وذهب
على التوالي الى القصر الذي اعطته اسمه (فوستا) .. فلما علم بواب
القصر انه بارداليان اعطاه رسالة من فوستا، كان فيها هذه الكلمات الاربعة:

(رومه .. القصر الضاحك .. فوستا)

ولما وصل الى رومه نزل في فندق يشرف عليه احد الفرنسيين فقضى ليلته فيه ، فلما اصبح الصباح سأل صاحبه عن القصر الضاحك فدلّه عليه ، فتوجه اليه ، فاذا به يجد نفسه في قصر لم يشاهد مثله في حياته • وقد ادخله الخادم الى ردهة عظيمة ازدانت بالرسوم البديعة ، فوقف ينظر الى ما حوله حائرا دهشا ، حتى وقف امام صورة امرأة من صنع الرسام الشهير روفائيل لم تقع عيناه على اروع منها واجمل • واقبلت فوستا في هذه الاثناء ، فحنى رأسه مسلما ، فحنت رأسها ترد تحيته ، وقالت له :

— هذه صورة جدتي ليكريس بوجيا ، التي كانت احسن حظا مني ، فسادت إيطاليا ، كما سادت على المسيحية بواسطة ابيها البابا اسكندر • « وقد كان هذا القصر مقرها ، وكان الملوك والامراء يهرعون اليه لاسترضائها • واما الان فلم يبق من المجد الغابر الا ما ترى • « ولو اني كنت محمية بحسام رجل باسل لا يغلب ، لكنت اقيم في هذا القصر حاكمة اميرة لا مضطهدة تحاول الاختباء والاختفاء » • فقال بارداليان :

— لقد حسبت حوادث الماضي علمتك الزهد في المغامرات وحب التسلط •

« وكنت اظن انك عقدت صلحا مع البابا ، وانتهي ما بينكما من الخلاف • • » • • فهزت فوستا رأسها وقالت :

— اسمع ايها الشفاليه • • حين برحت (بلوا) كنت احسب اني قطعت ما بيني وبين الماضي من صلات وعلاقات • • ولكنني حين بلغت إيطاليا ادركت اني لا ازال حفيذة لكريس •

« وقد غلبت لانك وقفت في سبيلي ، لو كنت معي لنجحت • • واما البابا فقد تركته وشأنه ، ولكنه لم يتركني • • ولا يزال يطاردني لينتقم

منسي •

« لقد برحت فلورانسا ولم انتظرك فيها ، لاني ادركت ان البابا
يطاردني » •

— ولكن كيف تهربين من فلورانسا الى رومه ، وهي عاصمته وفيها
يقيم ؟

قالت :

— لقد فعلت ذلك ذرا للرماد في العيون ، لان احدا لن يعتقد اني
اهرب منه الى اقرب مكان اليه • • ولتعلم انه لا يزال لي انصار هنا ، فاذا
انتصرت مرة واحدة ، عادوا اليّ واجتمعوا حولي ، فبلغت بهم ما اريد •
« ثم ان لدي في هذه العاصمة جيشا مؤلفا من الفتي رجل ينتظرون
امرا مني •

« ولي في قصر البابا نفسه بعض الجواسيس ، فاذا تمكنت منه بات
زمام السلطة في يدي •

« وانا اعتمد عليك يا بارداليان لمساعدتي • • فاذا وافقت • • فلن
يعوزني الرجال ولا المال » •

فقال بارداليان :

— كل شيء ممكن •

فبرقت عينها فرحا • • وقالت :

— اني لا اريد ان توافق على مطالبي حالا • • فان هذا الامر يحتاج
الى الدرس والتفكير • • فعدي اليّ بعد ايام ثلاثة ، فاما ان توافق على
مساعدتي ، او تعود الى فرنسا فنفترق الى الابد • • والان استودعك
الله ايها الشفاليه •

وعاد بارداليان الى الفندق وهو يقول :

— لقد اخطأت بزيارتها • • فان هذه النمرة لا تزال على عهدنا الاول،
وخير لي ان اعود من حيث اتيت •

وقد نقل اليها رأيها هذا في مساء اليوم الثالث حين زارها في قصرها •
استقبلت رفضه هادئة ساكنة ، ودنت منه تقول :
- احبك •• ايها القاسي الفؤاد وانت تجفوني •• وادنيك فتقصيني •
وامسكت به وامسك بها ، وهو ذاهل لا يدري ما يصنع ، وقد نسي
نفسه ، وسكر بغرامه •

ولما افاق من هذا الحلم العجيب ، قالت له :
- لقد غلبتني انا العذراء •• ولهذا قررت موتك ، فقد اشعلت
الخادمة النار في هذا القصر ، وهو يحترق الان •• وقد خرجت الخادمة
بعد ان اقلت جميع ابوابه •

فتح بارداليان عينيه بعد قليل •
فلم يشاهد فوستا بقربه ، وسمع ضحكا مرعبا يتردد في اجواء القصر
الكبير •• فعاد اليه صوابه في الحال ، حين اشتهم رائحة الدخان ، وسمع
صوت النار وهي تلتهم الاخشاب •

راح يبحث عن فوستا •• وقد ادرك ان القصر يحترق •
اخذ يناديها فلم تجبه •• ولكنه سمع ضحكتها من جديد ، وشاهدها
فجأة بين الدخان فاسرع اليها وهو يقول :
- لا تقلقي وقيي •• سأنقذك وتحيين •
وسمعها تقول من خلال الدخان •

- نعم يا بارداليان •• اني سأحيا •• واما انت فستموت •
كانت تتكلم وهي تتراجع فيضعف صوتها حتى اختفت عن نظاره •
واحس بارداليان انه مائت لا محالة •• بعد ان شاهد النار قد ضربت
نطاقا حوله •

اخذ يدور في القاعة كالمجانين لعله يعثر على منفذ فيها فلم يجد شيئا •
واستسلم للموت •
ولكنه ما ابث ان سمع دويًا هائلًا ، وشعر ان انفاسه قد عادت اليه ،

وان نسمة من الهواء المنعش قد تسلت اليه * فادار عينيه حول القاعة ،
فاذا سلم القاعة قد انقض من مكانه ، وظهرت من ورائه ردهة في الدور
الاسفل لم تصل اليها النار ، فاندفع اليها وقفز الى الردهة ، ومنها الى
غرفة صغيرة فتح نافذتها ثملقى نفسه في الماء *

ولما بلغ الشاطئ بعد قليل ذهب الى الفندق حيث نام نوما عميقا فلما
صحا عند الفجر سمع صاحب الفندق يتحدث عن حريق البارحة ، وانها
شبت في قصر شهير يخص لكريس بورجيا ، لم يكن يقيم فيه غير امرأة
يقال انها كانت متمردة على الحبر الاعظم ، فالتهمتها النيران جزاء كفرها *
واصفر وجه بارداليان لما سمع هذا الخبر ، وحزن لموت فوستا ثم
قرر العودة الى فرنسا ، فدفع حسابه لصاحب الفندق ، وركب جواده
ومضى *

ولكن فوستا لم تمت في الحقيقة *

فان الخادمة التي وضعت النار في القصر ، وقتت تنتظر سيدتها في
الخارج ، وقد شاهدت رجالا يرودون حول القصر فلم تبال بهم ، ولما
انفتح الباب وظهرت فوستا انقض عليها هؤلاء الرجال وقبضوا عليها ، وقال
لها احدهم :

— اننا نراقب قصرك منذ ايام ، ونقبض عليك الان باسم الحبر الاعظم ،
فاتبعينا بسلام ولا تقاومي *

فالتفت فوستا نظرة وداع على القصر وسارت مع الجنود * الى حيث
ينتظرها مصيرها *



ما لبث بارداليان ان نسي فوستا * بعد الحوادث التي اخذت تتابع
على مسامعه حين وصل الى حدود فرنسا *
فقد سمع مثلا ان الكردينال دي بوربون اعلن نفسه ملكا على فرنسا

باسم شارل العاشر ، وان الدوق دي مايان قد احتل باريس ، وان الملك هنري الثالث في اشد حالات الاضطراب والقلق .. وان هنري دي نافار يقيم في (سومور) على رأس جيش كبير ، وان كثيرا من المدن الكبرى ثائرة نائمة على الملك الشرعي هنري الثالث .

وادرك بارداليان ان اعوان دي كيز ورجاله هم الذين ايدوا الكردينال دي بوربون وعينوه على عرش فرنسا .

ولكن هذا العرش لم يكن تمتد حدوده الى اكثر من باريس ، واما المدن الاخرى فكانت قلقة ثائرة لم يستقر رأيها على شيء ، سوى نقيمتها على الملك الشرعي .

وقرر الذهاب الى (بلوا) لمساعدة الملك ، ما دام ليس هناك ما يعمله غير ذلك .

ولما وصل الى (بلوا) في ٢٩ تموز ، علم ان الملك يقيم بين (تور) و (امبوز) وحوله جيش ضعيف ، فذهب الى معسكره والتقى بكريلون فسر هذا بقدمه ، وعرض عليه الدخول في خدمة الملك .
فقال بارداليان :

— الافضل ان اظل حرا .. لاني قد استطيع خدمة الملك بذلك اكثر من وجودي في خدمته .. وقد رأيت البلاء ثائرة عليه ، ولن يستطيع بجيشه الضعيف مقاومة جيش مايان .
فقال كريلون :

— ان ما تقوله صحيح .. واو كنت مكان الملك لحالفت هنري دي نافار ، فجيشه قوي ، وباستطاعة الملكين سحق كل الثائرين .. والملك يدرك الفوائد التي تعود عليه من التحالف مع هنري دي نافار ، ولكنه يخشى ان يرفض هذا التحالف معه .. وقد فكرت بالذهاب الى هنري دي نافار واقناعه ، ولكنني موظف عند الملك فاخشى ان يقال ان الملك ارسلني .
فعرض عليه بارداليان ان يذهب هو لقضاء هذه المهمة .

فسر كريلون ودعا بارداليان لمقابلة الملك ولكن هذا اعتذر ، وفضل ان يدعوه صديقه لتناول الطعام على مائدته •
وبعد ان اشبع الفارس بطنه ، توجه الى معسكر هنري دي نافار ، بينما ذهب كريلون الى الملك وحدثه بما جرى بينه وبين بارداليان •• فسر سرورا عظيما •

ولما وصل بارداليان الى معسكر ملك النافار استقبله الملك استقبالا عظيما ورحب به ترحيبا كبيرا حين علم انه الرجل الذي انقذ امه من الموت لما كانت في باريس ، كما تذكر اجتماعه به في قصر كوليني فعرض عليه بارداليان رأيه في الموقف الحاضر ، وكيف ان ملك فرنسا لا يملك الان ، والدنيا نائمة تأثرة عليه ، وانه اذا اتفق مع هذا الملك الضعيف وحالفه ، انتصر على جيش الدوق دي مايان ، ولا بد ان ملك فرنسا سوف يعينه على اثر هذا الصلح خليفته ، فاذا رضي ملك نافار عندئذ بالانضمام الى الكثرة قبلته كل فرنسا ودانت له الدنيا كلها •

وقال هنري دي نافار :

— ولكني لن افعل •• فمعاذ الله ان اترك دين ابائي •

فقال له بارداليان :

« ولكن باريس تساوي قداسا يا مولاي •• » ، فضحك الملك ، وطلب من بارداليان ان يبقى في ضيافته اياما ريثما يرسل الى ملك فرنسا رسولا يبحث هذا التحالف معه •

وبعد ساعة من الزمن ذهب رسول (هنري دي نافار) الى ملك فرنسا يحمل شروطه للتحالف معه ، وعاد بعد يومين يعلن ان ملك فرنسا وافق على شروطه ، وانه يعين مكان الاجتماع في قصر (بليسي) •• وعقد الاجتماع وذهب بارداليان مع هنري دي نافار ، وبعد ثلاثة ايام انضم الجيشان ، وسارا الى باريس فكسرا جيش الدوق دي مايان ، وعسكرا في سانت كلود ، وقامت الدنيا على الاثر في باريس ، وقرر سكانها مسالمة

الملك خوفا من ان تمتد الحرب الى العاصمة فتنهب املاكهم ، وتتحرق منازلهم •



وكان (جاك كليمانت) قد تبع الجيشين المتحالفين الى (سانت كلود)
•• وقد زاد اصراره على قتل الملك بعد ان استرضته شقيقة الدوق دي
كيز واغرته بقتله •

ولما لم يتمكن منه في الطريق قرر الدخول عليه في المنزل الذي يقيم
فيه ، فاعترضه الحراس ، وسمع الملك اصواتهم فسأل عن الخبر فاخبروه
ان رجلا يريد مقابلته ويلح في ذلك •

فاسرع احد الضباط الى (جاك) يسأله عما يريد من الملك فقال :
انه قادم من باريس ويحمل الى الملك انباء خطيرة •

فامر الملك بادخال هذا الراهب عليه ، فطلب جاك حين شاهد الحرس
من حول الملك ان يكون الاجتماع سرا لخطورة الحديث ، فوافق الملك
وغادر القاعة جميع الحاضرين ، فقدم عندئذ جاك الى الملك كتابا مختوما ،
فاخذ الملك يفض اختامه ، فبادره جاك باغماد خنجره في احشائه ، وصاح
الملك صيحة هائلة ، فاسرع اليه رجاله وعلى رأسهم كريلون ، فلما رأوا
الملك بهذه الحالة ، وجاك واقف يشتم ويضحك ، انقضوا عليه بسيوفهم
وخناجرهم فمزقوه وقتلوه •

واسرع ملك النافار لما سمع بالخبر ، فلما افاق الملك من اغمائه، طلب
ورقة وقلما ، وقال لهري دي نافار :

« الوداع ايها الاخ الحبيب ، اني سأموت بعد قليل ، وعندئذ من
الوقت ما يكفيني لكتابة وصيتي ، وسأعهد اليك فيها بعرش فرنسا ، لقد
انقرضت اسرة فالوا ، فلتحيا اسرة بوربون » •

فوستا في السجن

عرض ملك نافار على بارداليان ان يعينه مستشارا في بلاطه ، فاعتذر ، وعرض عليه ملك فرنسا هنري الثالث عصا المارشالية ، وذلك قبل موته فأجابه :

« انه راض بحسامه ، ولا يريد وظيفة اخرى غيره » ، وسافر الى باريس ليأخذ لنفسه بعض الراحة في فندق دفينير . فلما وصل اليه وقف حائرا مبهوتا ، فقد شاهد كل شيء قد تبدل وتغير في هذا الفندق ، اذ تحول الى منزل .

ولا بد ان صاحبه هيكيت قد تركته ، وانتقلت الى مكان آخر . فأطرق كئيبا ، وحاول العودة من حيث أتى ، لولا انه شاهد على الباب قطعة من النحاس ، فتقدم يقرأها ، فاذا عليها « منزل بارداليان » . جمد في مكانه لحظات .

ايكون له منزل في باريس ، ثم لا يعرف بوجوده ؟ وطرق الباب ، ففتحت له خادمة ، فلما احتواه المنزل وجد ان داخله لم يتغير عما كان عليه قبلا ، ثم شاهد (هيكيت) تقبل عليه ، وفرح برؤيتها فرحا شديدا . والقت نفسها بين ذراعيه ، تعانقه وهي تبكي من الفرح والسرور .

سألها بارداليان بعد ان عادت اليه نفسه ؛

— لماذا اقبلت هذا الفندق ؟

فالت :

— فعلت بعد ان جمعت من المال ما يكفيني ريعه ، وكرهت ان يبقى
فندقي مفتوحا للزائرين ، وخصصته فقط لشخص واحد ، وعدني انه
سيأتي يوما ليستريح فيه ، فما هو للناس وانما هو لك .. وهو الان
(منزل بارداليان) *

واخذ بارداليان الباسل يكي لاخلص هذه المرأة له *
وقال لنفسه :

— لقد رفضت ان اكون وزيرا ، واعتذرت عن قبول عصا المارشالية ،
وفضلت ان ابقى من عامة الناس *

وبعد شهر عقد زواجه مع هيكت .. ولكن هذه المرأة المخلصة لم
تهنأ طويلا بزواجها ، فقد اصببت بالحمى بعد اشهر وماتت فحزن بارداليان
عليها حزنا شديدا *

وكانت قد اوصت بكل اموالها لزوجها ، فانشأ بارداليان مستشفى
بهذا المال اطلق عليه اسم (هيكت) ، ثم برح باريس بعد ان ضاقت الدنيا
في وجهه بعد وفاة زوجته .. ولم يعد يطيق الاستقرار في مكان واحد *



بدأت محاكمة فوستا بعد ان تم القبض عليها من قبل جنود البابا ،
سيكست كنت *

وصدر الحكم عليها اخيرا بالاعدام ، وتعين يوم الاعدام في اليوم
التالي ...

ولم تحفل فوستا بالحكم ، وقالت لخادمتها التي سمحوا لها بالبقاء
معهما لخادمتها في تلك الغرفة الحفيرة :

— انهم لن يحصلوا على جسمي الا جثة هامدة •
قالت الخادمة :

— وكيف يكون ذلك يا سيدتي ؟

— لدي ست حبوب تذوب في الماء ، فاذا شربت واحدة منها نمت يوما واحدا ، واذا شربت اثنين نمت ثلاثة ايام ، واذا شربت ثلاثة نمت الى الابد •• فاعطني كأس ماء •

فلما امسكت فوستا قدح الماء بيدها ، احست بشيء يتحرك في احشائها ، وجاءها المخاض ، فتأخر الحكم عليها ريثما ولدت طفلها •
وعندئذ قرر القضاة تنفيذ الحكم في اليوم الثالث لولادتها ، ومضت فوستا ليلتها تنظر الى طفلها ، فلا تقبله ولا تحنو عليه ، حتى اذا اقبل الصباح نادى خادمتها ، فامرته ان تأتيها بكأس ماء ، فذوبت فيه الحبوب الثلاث ، والتفتت الى الخادمة تقول •

— عليك ان تتولي تربيته ، وتذهبين به الى باريس ، حتى اذا بلغ مبلغ الرجال اخبرته بامره وامر ابيه •

فأقسمت الخادمة على ان تفعل كل ما تأمرها به •
فاخذت عندئذ فوستا الطفل بين يديها ، ونظرت اليه نظرة قاسية ، وقالت مخاطبه :

— يا ابن فوستا ، ويا ابن بارداليان •• ما عسى يكون مصيرك ؟• هل تجتمع يوما مع ابيك ، وهل تنتقم لامك ؟

ثم شربت الكأس جرعة واحدة واسلمت الروح •
وفي صباح اليوم التالي •• وهو الموعد المعين لاعدام فوستا ، كانت الساعة تشير الى ان ساعة تنفيذ الحكم قد اقتربت •

وفي هذا الصباح نفسه ، كان رجلان يجلسان في قصر فخم من قصور رومية ، وقد انزويا في احدى غرفه ، وهما في مقتبل العمر ، وقد وقع الاثنان في حب (فوستا) ، وراحا يفكران في خير سبيل لانتقاذاها •

كان احدهما (اسكندر بريتي) ، ابن اخت البابا ، كبير رومية وزعيمها •

وكان من المنتظر ان يخلفه بعد موته •• وقد عينه البابا كرينالا باسم موتئات •

واما الثاني (هرقل سفوندراتو) ، فسليل احدى الاسر الرومانية الشهيرة •

تولى منصب القضاء ، رغم صغر سنه ، حتى اصبح من اعظم القضاة ، شهرة وقسوة ، وكان يعتبر من رجال البابا المخلصين •
كان هرقل يقول لموتئات :

اسمع •• لقد اخذت تدق الاجراس مؤذنة بقرب تنفيذ حكم الاعدام ، ولم يبق سبيل لانقاذها •
فقال له موتئات :

— سأذهب وانطرح على قدمي قداسته ، واسأله العفو عنها •
فقال هرقل :

— انا الوحيد الذي يستطيع انقاذها •• فان اقسمت لي على ان تتنازل عن حبها. فعلت •
فقال موتئات :

— اني افضل انتزاع فؤادي من صدري على ترك حبها •• وسأدافع عنها ضد رومية كلها ، حتى ولو اصبحت وحيدا ••••• واما الان فمت انت اولا ايها القاضي الاعظم ، لانك انت الذي اصدرت عليها الحكم بالاعدام • وبأسرع من لمح البصر امتشق سيفه من غمده واهوى به على (هرقل) وخرج من الغرفة لا يلوي على شيء •

ولكن الدرع الفولاذية التي كان يلبسها (سفوندراتو) حمته من سيف خصمه ، فما عثم ان انتصب على قدميه ، بعد ان غادر خصمه الغرفة ، وقد بدت على وجهه ابتسامة رهيبة •

واما موتالت فقد مضى الى السجن القريب من القصر ، فلما شاهده الحارسان تراجعا من قدامه ، هيبة ووقارا لا تتسابه الى عظيم رومية •
فاطل من نافذة صغيرة على الغرفة ، فشاهد فوستا تمسك بمولودها وقد ازدادت جمالا على جمال ، وهي تتحدث الى خادمتها ميرتيس بأن تغادر رومية مع الطفل ، وان تهرب به بعيدا ، لان احدا لن يعارضها عند خروجها من السجن ، لان زعيم رومية انما يريد الانتقام منها لا من احد غيرها •

فوعدها الخادمة ان تفعل ، وان تعيش للطفل وتقوم على تربيته •
فسرت فوستا من هذا الوعد ، وتناولت عن عنقها انبوبة شربت ما فيها من حبات السم دفعة واحدة ، ثم ألقت رأسها على الوسادة وفارقت الحياة •



صاح (موتالت) عندئذ ، بصوت تملكه الرعب والخوف وقال :
— كان يجب ان افطن ، الى ان فوستا سوف تقدم على الانتحار ،
لتنجو من قبضة الجلاد •

وصاح بالحارسين ليفتحا الباب •
فقالا :

— لا يفتح هذا الباب يا سيدي الا لمولانا الحاكم الاعظم •
ولم يكن الحاكم الاعظم غير خصمه (سفوندراتو) •• فسقط على الارض باكيا عندما ادرك ضعوبة الحصول على امر من خصمه •
فجأة سمع صوتا يقول بهدوء :

— وانا ايضا يحق لي فتح هذا الباب فافتحاه •
ورفع (موتالت) رأسه ليجد امامه مفتش اسبانيا الاعظم (اسبينوزا) ،
وكان رجلا في السادسة والخمسين من العمر ، طويل القامة ضخم الجثة ،

جاء الى رومية منذ شهر لمقابلة زعيم الكنيسة ، وقد اجتمع به اكثر من مرة ، ولاحظ المتصلون بالجبر الاعظم ان ما قاله (اسبينوزا) قد اثاره وهمته ، وبدا الاضطراب على وجهه ، وهو الذي لم يكن يلقي بالا لخطر، مهما علا شأنه ، وعظم اثره .

وفتح الحارسان الباب ودخل المفتش الاعظم ، وخلفه موتالت .
فأمر المفتش الخادمة ان تغادر الغرفة مع الطفل ، وان تقوم بدور الامومة التي كلفتها به فوستا .

فغادرت الخادمة مع الطفل الغرفة ، وصاح (موتالت) يقول لما وقف امام جثة فوستا :

— الويل للذين قتلوك يا فوستا .

ثم تذكر المفتش الاعظم ، فبكى وقال :

— لماذا جئت بي الى هذا المكان يا مولاي ؟ اني اسمع صوتا داخليا يقول لي ، انك في سبيلك لصنع معجزة من المعجزات ، فان لم تفعل فاني لاحق بها .

وامسك بسيفه يريد ان يغمده في صدره ، فمنعه المفتش الاعظم وقال له :

— ان السم الذي تناولته فوستا ، قد اشترته من (مانيه) بائع الاعشاب ، ولهذا السم ضد واحد اتيت به معي .. فخذوه وافعل به ما تشاء .

فصاح موتالت :

— انقذها يا سيدي .. وخذ حياتي .

— ان حياتك ثمينة عندنا .. ولن اطلب منك مثل هذا الثمن لقاء انقاذها .

فأدرك موتالت ان المفتش سيطلب منه خدمة ، مقابل انقاذها ، فقال :
— مرني يا سيدي انقذ ما تريده .

فقال المفتش :

— تعال ساعدني *

— تعال ساعدني *

امسك (موتتالت) برأس فوستا ، وسكب المفتش في فمها السم المضاد *

وبعد قليل اخذ وجه (فوستا) يتشرب بالحمرة ، كأن الروح قد بدأت تدب فيه ، وبعد لحظات اخذت تنفس *

فصاح موتتالت يقول :

— حمدا لله ، فهي لا تزال حية *

وقال المفتش :

— بعد ساعتين تعود الاميرة فوستا الى وعيها ، وتنجو من الموت *

التفت عندئذ موتتالت الى المفتش وقال :

— ما الذي يأمرني به سيدي .. لاقوم بتنفيذه ؟

— لقد جئت الى رومية من اسبانيا لاحصل على مستند موقع بامضاء هنري الثالث ملك فرنسا ، وعليه خاتمه ، وهذا المستند موجود في غرفة زعيم رومية التي لا يدخلها في غيابها سواك يا موتتالت ، وانا اريد الحصول على هذا المستند *

فقال موتتالت :

— امرك يا سيدي وسأذهب لاحضاره *

فلما غادر موتتالت الغرفة فتحت فوستا عينيها ، ونظرت الى المفتش

الاعظم *

فقال لها هذا :

— ليطمئن بالك على طفلك ، فقد غادرت به خادمتك ميرتيس رومية ، ولتعلمي ان زعيم رومية قد سمح للطفل بالحياة ، لعلمه بانك اخفيت في مكان ما ، ثروة عظيمة لا تقل عن عشرة ملايين تركتها لولدك ، وان

الخادمة تعرف مكان هذا المال ، وستعطيه للطفل عندما يبلغ سن الشباب
.. هل سمعت ما قلته لك ؟

فهزت رأسها بالموافقة ، فحنى رأسه باحترام وتوجه نحو الباب فلما
بلغه التفت يقول :

— ولتعلمي ايضا ان بارداليان قد تمكن من النجاة من الحريق في
القصر الضاحك وهو لا يزال حيا يرزق .

★ ★ ★

كان زعيم رومية في غرفته المتواضعة ، يفكر بمشروعاته العظيمة ،
وبهذا المستند الذي حصل عليه من هنري الثالث ملك فرنسا ، وعرف
فيليب ملك اسبانيا بأمره فارسل يطلبه بواسطة المفتش الاعظم .. او
يحدث لعظيم رومية ما ليس بالحسبان .

ولم يكن يهم عظيم رومية ان يموت .. وانما كانت له اطماع يريد
تحقيقها قبل موته .. منها طرد فيليب ملك اسبانيا من ايطاليا ، وان يجعل
من ايطاليا دولة موحدة مستقلة .. بعد ان كانت في الوقت الحاضر ،
تتجاذبها اطماع اسبانيا وفرنسا والنمسا .
قال يناجي نفسه :

— لقد اقسمت لندوب ملك اسبانيا اني احرق هذا المستند وعلي
ان افعل .

ورفع المستند من مكانه ، وقرّبه من النار ، ثم ما لبث ان اعاد الورقة
اليه وهو يقول :

— يجب ان احتفظ بهذا المستند .. ولكن كيف العمل ؟
واحس في هذه اللحظة بان يدا قوية امسكت بالورقة ، فاستدار
خائفا ، فاذا به يشاهد موتالت ابن اخيه .
صاح به :

— كيف تجرأ ؟
ومد يده الى مطرقة كانت امامه ليدعو خدمه ، ولكن موتتالت منعه ،
وقال له :

— اذا اردت المحافظة على حياتك فلا تات بحركة •

فانتصب الشيخ واقفا وقال له :

— هل تجسر ؟

— نعم ، اذا لم احصل على ما اريده •

— ما الذي تريده ؟

— اريد العفو عن فوستا •

وابتسم زعيم رومية ، فقد علم باتتجار فوستا وتناولها السم ، فقال :

— ليكن لك ما تريده •

وتناول ورقة امامه ، كتب عليها امرا بالعفو عن فوستا •• اعطاها لابن

اخيه وهو يقول :

— خذ هذا امر بالعفو عنها واعطني الورقة التي انتزعتها مني •

— قبل ان اعيد الورقة اريدك ان تعلم ، ان فوستا لم تمت ، وقد

اسرعت انت بالعفو عنها ، لعلك بموتها •

« لقد سقيتها دواء مضادا للسم الذي تناولته ، فنجت من الموت » •

فكر زعيم رومية مليا ثم قال :

— ليست تهمني حياتها •• بعد ان هانت سلطتها بولادة طفلها •• واما

انت فهل لا تزال تعشقها ايها الاحمق •• ان احدا في العالم لم يستطع

تطويق فؤاها غير بارداليان ، وما انت مثله •• فما الذي ترجوه منها ؟

فاصفر وجه موتتالت ، ولاذ بالصمت لحظات ، ليقول بعد ذلك :

— لست اطلب منها شيئا ، وما فعلت الا لانتقاذها من الموت

••• وسوف اسلم هذه الورقة الى فوستا ، لتأخذها بيدها الى الملك

اسبانيا ، لانها تخصه وهي ملكه ، ولزيادة الاحتياط والحذر ساسافر معها

وفكر زعيم رومية في موقفه •
لقد وجد أخيرا الحل لهذه الوثيقة الخطيرة •• وماذا يهملت هذه
الوثيقة فوستا ، أم سواها ، شرط أن لا تصل إلى صاحبها •
ولما استقر فكره على ما يجب عليه عمله ، قال لابن أخيه :
— اذهبا إلى حيث أردتما •• فقد عفوت عنكما •
وبعد دقائق كان موتالت عند المقتش الأعظم •
أخبره بحصوله على المستند ، وبأنه سوف يذهب مع فوستا إلى
اسبانيا ليقدمه إلى جلالة الملك فيليب ، وقد فعل ما فعل حتى يطمئن إلى
سلامتها •
وقطب المقتش حاجبيه في أول الأمر ثم ما عسى أن وافق على هذا
الرأي ، وقال :
— المهم وصول هذا المستند إلى الملك في أقرب وقت ممكن •
فقال موتالت :
— سوف تسافر الأميرة فوستا إلى اسبانيا ، متى تماكنت صحتها ••
لتستطيع تحمل مشاق السفر الطويل •

عرش فرنسا

لما فتحت فوستا عينيها ، وشاهدت (موتالت) امامها أدركت ان هذا الشاب العاشق قد استطاع اقناع عمه بالعفو عنها اخيرا .
ثم لما سمعت الحديث الذي دار بينه وبين المفتش الاعظم ، أدركت الحقيقة .

وفكرت في انها قد تفيد من حب هذا الشاب ، ومن اختلافه مع عمه .
لاغراضها الشخصية ، ثم ما لبث ان تذكرت ، انها تفضل الموت ، بدلا من العودة الى الصراع الرهيب الذي بدأت به ، ولم توفق فيه .

وسمعت فيما سمعته ، قصة المستند السري ، ثم ما قاله لها المفتش الاعظم عند وداعه ، من ان بارداليان ، لا يزال حيا يرزق .
اخذت تفكر في موقفها الجديد .

واقبل (موتالت) في هذه اللحظة عليها ، فتمايلت عواطفها واعصابها .
وقالت :

— هل عندك ما تقوله ... تكلم ...

واستشعر الشاب بقوتها وسيطرتها ، فعنى رأسه •
وأحست فوستا انها قد تستطيع الافادة من حبه ، اذا كان لا بد لها
من الحياة ، ولا بد لها من القيام بمغامرات جديدة ، في السياسة الدولية •
ومضى (موتالت) ، يقص عليها ما وقع له ، وكيف تمكن من الحصول
على غفو زعيم رومية عليها •

فقالت :

— اذا فان باستطاعته ان يسحب غفوه هذا ساعة يشاء •

فقال :

— بل انه لا يستطيع ذلك ، لاني قد تمكنت من الحصول منه على
وثيقة تمنع عنك كل شر وأذى •• تفضلي يا سيدتي وطالعي هذا المستند •

تناولت فوستا الوثيقة واخذت تقرأ ما يلي :

« نحن هنري الثالث بنعمة الله ملك فرنسا ، نعلن اننا بالهام من الله،
وعملا بنصيحة الاب الاقدس ، قررنا المحافظة على الديانة الكاثوليكية
في مملكتنا •

« وبما ان هنري امير النافار عاجز عن القيام بشؤون فرنسا ، ولا
يستحق الجلوس على عرشها ، لانه متهم بالمروق عن الكنيسة ، فقد
قررنا ان نأمر رعايانا ، باننا قد اخترنا جلالة الملك فيليب الثاني ملك
اسبانيا خلفا لنا على عرش فرنسا ، لانه زوج الیصابات شقيقتنا المحبوبة،
ونأمر كل رعايانا الخاضعين لاحكام الكنيسة باعتباره دون سواء ، خلفا
شرعيا لنا على هذا العرش » •

وقال موتالت بعد ان قرأت فوستا هذه الوصية :

— وكذلك ترين يا سيدتي ، ان حظ ملك اسبانيا في عرش فرنسا
اصبح عظيما ، وان هنري دي نافار قد خسر كثيرا ، ولا يبق معه اذا ما

نشر هذا المستند ، الا جماعة الهيكونات انصاره .. لان انصار ملك فرنسا سوف يؤيدون ملك اسبانيا ، فالذي يعطيه هذا المستند يكون كمن اعطاه عرش فرنسا ، واذا تمكنت من الحصول على مساعدة فيليب ملك اسبانيا ، استطعت تأسيس مملكة جديدة ترضيك وتسعدك .

« وقد رأيت ان اسلمك هذا المستند ، لتكوني رسولي الى ملك اسبانيا » .

ولاذت فوستا بالصمت تفكر .
لقد هيا لها هذا المستند فرصة جديدة لاعادة مجدها ، والوصول الى اغراضها .

ولكنها ما لبثت ان سألت (موتالت) :
— وما الذي تريده مني مقابل هذه الخدمة ؟
قال :

— سيدتي .

قالت :

— انا اتولى الجواب عنك .. لقد فعلت ما فعلت ، لانك تجبني .
خرّ (موتالت) على الارض امامها ، ومد لها يده متوسلا مسترحما .
وانتصبت واقفة ، مخافة ان ينفجر غرامه .
وقالت :

— اني اعلم انك تجبني منذ مدة بعيدة .. ولكنني لا استطيع مبادلتك حبا بحب ، لاني احببت سواك ، وفؤادي لا يقبل غرامين .
وجن جنونه لما سمع هذا الكلام ، وشهر سيفه ، وهجم عليها .
فقالت له بهدوء :

— نعم ... لقد احببت بارداليان ... واذا مات فلن تكون انت قاتله •

— ومن الذي يقتله اذن ؟

— انا •

— وما الذي يدعوك لقتله ؟

— حبي له •

★ ★ ★

ظل عظيم رومية يفكر في الموقف بعد خروج موتالت .. واحسن السبل الى استرجاع الوثيقة ، والقضاء على فوستا ثانية •

وفي هذه اللحظة اقبل عليه الحاكم الاعظم (سفوندراتو) .. وحده بما كان من محاولة موتالت قتله ، وانه لم يكن ليالي بهذا الاعتداء ، لولا انهما يحبان امرأة واحدة •

« لا يريد احدهما ان يتخلى عنها للآخر .. وان هذه المرأة هي فوستا » •

فقال له عظيم رومية :

— لك ان تفعل ما تشاء ، وقد كنت في الماضي طلبت مني دوقية (بوتته ماجيوري ومورسياتو) فهي لك الآن ، وهذا قرار بتعيينك عليها •

فقال له الحاكم الاعظم :

— ما هذا الكلام .. لقد اخبرتك ان الرجل الذي اكرهه واريد قتله هو (موتالت) ابن اخيك ، الذي اخترته ليكون خلفا لك .. فلماذا لا تحدثني عنه ؟

— ان موتالت هذا قد اصبحت عدوي ، وقد اخذتني السلاح الذي يذهب بسلطتي واعطاه لفوستا الذي عفوت عنها ، وهي ستذهب به الى ذلك الاسباني اللعين ، ولهذا انصحك بأن تضربه في غرامه واعماله ، بدلا من قتله •

واهتز الحاكم الاعظم لما سمع هذا الكلام وقال :

— فوستا حرة •• وقد عفوت عنها •• وهي ستذهب الى اسبانيا مع موتالت ، ان هذا لن يتم ابدا ، ما دام بي رمق •
« ان الوظيفة التي منحتني اياها لا تنفعني في الوقت الحاضر •• كل ما اطلبه منك ، ان تصدر امرا بتعييني مديرا للبوليس ، وبعد ساعة من الزمن أعيد اليك المستند » •

« ان الجلاء لا يزال بالانتظار •• ولا بد ان اقضي على هذه المرأة •
« واما (موتالت) فسأقبض عليه واحاكمه كخائن ، واحكم عليه بالاعدام ، فلا تتأخر عن اعطائي هذه الوظيفة » •
— اذا فعلت فلن تمر ايام ثلاثة حتى افارق الحياة •
ذعر الحاكم الاعظم ، ومضى زعيم رومية يقول :

— ان هناك ديوان التفتيش الذي يقبض على زمام الموقف •• ولو اردت القضاء على اعدائي لفعلت ، ولكن هذا الديوان يحميهم في الوقت الحاضر •

« وانا بحاجة الى سنتين لتوطيد سلطاني ومركزي •• ولهذا سأسمح لاعدائي بمغادرة الارض التي تحت سلطاني » •

— واذا كان الامر كذلك ، فسأتولى امرهم بنفسني •
فقال زعيم رومية :

— هل انت واثق من نفسك ؟

- لست ارهب عشرين مثل موتالت •
- والمفتش الاعظم ؟
- اعطني امرا ••• فيقبض عليه في الحال •
- وفوستا ؟ ان فوستا تسحقك باشارة منها •• انت لست من رجالها •
- « ليس هناك غير رجل واحد وقف في وجهها ، وافسد عليها كل اعمالها ، وهو بارداليان •• فاذا رضي بمساعدتنا في هذا العمل نجحتنا •• »
- فقال الحاكم الاعظم :
- سوف اذهب اليه واقنعه بمساعدتنا •
- انه رجل ليس كغيره من الرجال ، وما عليك الا ان تجرب حفظك معه •• وهو الرجل الوحيد الذي اكرهني على الاعجاب به •
- اين اجدته ؟
- اذهب لمقابلة هنري دي نافار واطلعه على قصة المستند الذي تحمله فوستا ، والذي اكرهت على تسليمه الى (موتالت) •
- واذا التقيت ببارداليان ، قل له :
- ان فوستا لا تزال على قيد الحياة ، وانها تحمل الى فيليب الثاني ملك اسبانيا ، سنداً يكفل له الحصول على عرش فرنسا •
- ومتى يجب ان اسافر ؟
- حالا •



غادر (سفوندراتو) رومية ، ينهب الارض على جواده ، متوجها صوب فرنسا ، وكلما وصل الى فندق او محطة ابدل جواده بغيره ، حتى

اصبح قريبا من باريس ، فالتقى بفارس فسأله عن اخبار هنري ملك النافار .
فقال له الفارس المجهول :

— لقد علمت ان الملك يقيم في قرية مونمارتر ، وقد نزل في دير
راهبات البنديكتيين الذي ترأسه الاخت كلودين دي بوفيليه ، وهي
تقضي ايامها ولياليها على ما يقال باقناع الملك بالرجوع الى الكشلكة .

« واذا اردت يا سيدي ان اقودك الى حيث يوجد ملك فرنسا فعلت ،
لاني على موعد معه في مساء هذا اليوم » .

فدهش الحاكم الاعظم لما سمعه ، ونظر الى الفارس الذي قدّر انه في
الاربعين من عمره ، وهو جميل الصورة ، قوي العضلات حائرا مذهولا .

ومضى الفارس المجهول يقول :

— ولسوف تخجل حين تشاهد هذا الملك في ثيابه المتواضعة ، اذا
قيست بملابسك المحلاة بالذهب والريش الفاخر ، والوشي الثمين .
واستبدو بالدوق الحاكم الاعظم الغضب ، وهدد الغريب بالعقاب ،
ان مضى في تهكمه ، فرفع الفارس قبعته معتذرا .. ووعد ان يلوذ
بالصمت .. ولكن بلهجة ظاهرة التهكم والسخرية .

واستبد الغضب بالحاكم الاعظم ، وقرر معاقبة هذا الفارس اذا التقاه
مرة ثانية ، وذلك بعد ان يجتمع الى الملك وبارداليان اللعين .
واخيرا وصل الفارسان الى باريس ، والى اعالي (شاليو) ..
وكان الصمت يخيم على العاصمة من بعيد ، ثم عاودا السير الى جهة
مونمارتر ، لان اسوار العاصمة كانت محاطة بجنود هنري الرابع ، او
ملك النافار سابقا ، الذين اخذوا يحاصرونها .

ولما وصلا الى الاسوار ، صادقا عددا كبيرا من الكهنة والرهبان وقد
ارتدوا السلاح تحت البستهم ، يقومون بحراسة الاسوار واعمال الدفاع ،

وخلفهم جمع من سكان باريس الجياع يروحون وينعدون خلفهم •
وفجأة سمع صياحا وجماعة يقولون :
— الملك ... الملك ...

وهجم جمع كبير من الفقراء على الاسوار ، وهم يدفعون الكهنة
امامهم •

واحاطوا بعربة الملك ، وهم ينادونه ويطلبون منه خبزا ...
فقال لهم هنري الرابع ببساطة :

— لقد اتيت اليكم ايها الاصدقاء ، وجئتكم بما تريدون ولكن ما
الذي يدعوكم للامتناع عن تسليمي عاصمتكم ؟

وشاهد الفارسان منظرا غريبا في هذه اللحظة • • فقد ترجل هنري
الرابع عن جواده ، وفعل مثله الفرسان الذين كانوا يحيطون به لحراسته •
واقبل من خلفهم عدد عظيم من البغال ، تحمل الخبز على ظهورها ،
فأخذ الملك يوزع الخبز على الفقراء •

وبعد لحظات ، لم يبق فوق ظهر البغال ، قطعة واحدة من الخبز •
ولما انتهى الملك من توزيع الخبز صاح يقول :
— سوف احمل اليكم في الغد خبزا جديدا •
فصاح عندئذ الفارس الغريب ، الذي رافق الحاكم الاعظم قائلا :
— احسنت يا صاحب الجلالة •

والتفت هنري الرابع ينظر الى الرجل الذي استحسن عمله ، فلما
شاهده ظهرت الابتسامة على وجهه •
وهتف يقول :

— حمدا لله • • فقد جئت اخيرا يا بارادليان •
وعض الحاكم الاعظم على شفتيه •

لم يكن يعلم ان رفيقه في السفر لم يكن غير بارداليان ، الذي جاء
للاجتماع به من ايطاليا •
وأردف الملك يقول :

— ان اسراعك في تلبية دعوتي ، يؤكد لي انك سوف تكون من
حزبنا •

فقال بارداليان :

— ان جلالة الملك أدري الناس باخلاصي •
واصدر الملك امره الى رجاله يركوب جيادهم، للعودة الى مونمارتر •
والتفت الى بارداليان يقول :
— واما انت فتعال معي •• وسر الى جانبي •

★ ★ ★

التفت عندئذ بارداليان الى رفيقه وقال له :
— ارجو ان تعرفني على نفسك يا سيدي ، حتى اذا وصلنا الى
مونمارتر تشرفت بتقديمك الى جلالة الملك كما وعدتك •
— اني ادعى (هرفل سفوندراتو، دوق بوتته ماجيوري ومارسياتو)
ورسول البابا الى الملك والفارس بارداليان •
اضطرب بارداليان لما سمع هذا الجواب وقال :
— لم اكن اتوقع مثل هذا الشرف •
ولما اصبح بارداليان بجوار الملك قال له هذا :
— ان مما يسوئني اصرار الباريسيين على عدم فتح مدينتهم لي •
فقال بارداليان :

- سوف تسقط هذه الاسوار حين تريد جلالتيكم •
- وكيف يكون ذلك ايها الفارس العزيز ؟
- لقد قلت لجلالتيكم ان باريس تساوي قداسا •

فقال وهو يتسهم :

- سندرس هذا الامر في المستقبل •
- واخبر بارداليان الملك في اثناء الطريق بأن رفيقه الدوق هو رسول البابا اليه •

فوافق الملك على استقبال الرسول عند وصوله الى معسكره في مونمارتر •

ولما استقر به المقام ، اخبره الرسول بمهمته ، وسلمه نسخة من المستند الذي حصلت عليه فوستا •• والذي تريد تسليمه الى ملك اسبانيا •

كما قص عليه كيف تمكن (موتالت) ، ابن اخي زعيم رومية من الوصول الى هذا المستند •

وبعد ان غادر (الدوق) الحاكم الاعظم حجرة الملك ، اجتمع الى بارداليان ، فأخبره ان زعيم رومية ، قد ارسله اليه ، ليخبره ان (فوستا) لا تزال على قيد الحياة ، وانها الآن في طريقها الى اسبانيا ، تحمل الى الملك فيليب الاسباني وثيقة تكفل له الحصول على عرش فرنسا •

فقال بارداليان بذهول :

- لا بد انك واهم يا سيدي ، فما الذي في هذه الوثيقة لتعطي ملك اسبانيا حق الجلوس على عرش فرنسا ؟

فقال الحاكم الاعظم :

- انها الوصية التي كتبها هنري الثالث ملك فرنسا قبل مقتله

بزمـن ، يعترف فيها ان فيليب الثاني ملك اسبانيا ، هو خليفته الشرعي الوحيد على عرش فرنسا •

لاذ بارداليان بالصمت لحظات ثم قال للرسول :

— هل هذا ما تريد ان تحدثني به ؟

— نعم يا سيدي •

— اذن الى الملتقى ، لاني سأذهب لمقابلة الملك الذي يريد الاجتماع بي •

ولما دخل بارداليان الى غرفة الملك وجد عنده جماعة من رجاله ، فأطلعهم جلالته على الوصية التي كتبها هنري الثالث قبل مقتله ، والتي يجعل فيها ملك اسبانيا خليفة له •

وكيف ان فوستا في طريقها الآن الى اسبانيا ، تحمل هذه الوصية الى الملك الاسباني •

وقد احتاج الجميع لسماعهم هذا الخبر ، وصاحوا ينادون بالقبض على (فوستا) ، واسترجاع الكتاب منها قبل ان يصل الى صاحبه •

وايّد بارداليان الفكرة •

وسأل الملك :

— من يكون الرجل الذي يستطيع القيام بهذه المهمة ؟

ولحظ (بارداليان) ان الانظار قد انصبّت عليه •• فقال ببساطة :

— هل اصلح لاكون ذلك الرجل ؟

فطار الملك من الفرح وهتف يقول :

— أتعلم هذه المهمة ايها الصديق العزيز ؟

« حقا انك اذا فعلت ذلك ، وجلست على عرش فرنسا ، فان الفضل

سيعود اليك » •

فقال بارداليان :

— انك لن تكون يا مولاي مديونا لي بشيء .. فأنا اعرف فوستا ،
وسأسعى جهدي لاحصل على هذه الوثيقة منها ، قبل وصولها الى
صاحبها •

وقال الملك بعد تفكير قليل :

— ويجب ان تظل مهمتك سرية بيننا لا يعرفها احد ، ولهذا سأكلفك
بمهمة ثانية ، وهي ان تذهب كرسول من قبلي الى ملك اسبانيا ، لتسأله
التوقف عن مد يد المساعدة الى رجاله ، الذي يعملون خلف الاسوار مع
الثوار في باريس •

ثم التفت الى كاتبه ، وطلب منه ان يعد الكتاب اللازم ، بتعيين
الفارس بارداليان ، كسفير فوق العادة من قبلنا الى جلالة فيليب الثاني
ملك اسبانيا •

وان يتمتع بكل الصلاحيات التي تخولها له هذه الوظيفة منذ الآن •
والتفت الملك الى بارداليان يسأله :

— كم عدد الرجال الذين تطلبهم لمرافقتك ؟
— ما حاجتي بالرجال يا صاحب الجلالة ؟
— اتريد ان تذهب بمفردك ، وان تقابل ملك اسبانيا ومحاكم التفتيش
فيها وحدك ؟

— لقد تعودت يا مولاي ان اقوم بأعمالي بمفردي ، وقد نجحت في
جميعها حتى الآن •

فقال الملك :

— يا الهي ما اشد عنادك !
وقال في نفسه :

— على المرء ان يتوقع المستحيل مع رجل كهذا •
وسأل الملك بارداليان بصوت عال :
— متى تريد السفر ايها الفارس العزيز ؟
— سأسافر حالا يا مولاي •
فقال الملك :
— انت بطل يا صديقي •• فاعطني يدك لاصافحك •
فصافح بارداليان الملك باحترام زائد ، وغادر الغرفة يتبعه (سائزي)
كاتب الملك •
فلما تأهب الفارس لركوب جواده ، اقترب منه (سائزي) وسلمه
اوراق اعتماده •
وقال ضاحكا :
— لقد امرني الملك يا سيدي ، ان اعطيك هذا المبلغ الزهيد لنفقات
سفرك •
فتناول منه بارداليان كيس النقود واردفه خلفه على ظهر جواده
وقال :
— يبدو ان مولانا قد اصاب كنزا ، او ان الاشاعات عن بخله ، لا
اثر لها من الصحة ، فان ما اعطانيه كثير يمثل ثروة •
قال هذا ولكن جواده •
فسار يسابق الريح •• وترك (سائزي) دهشا حائرا معجبا ببطولته
وجرأته ••• وطول لسانه •

اتهى هذا الكتاب

الفهرس

| | |
|----|-------------------|
| ٥ | الولاء الكاذب |
| ١٧ | رأس الدوق |
| ٣٠ | مقتل الدوق دي كيز |
| ٤٧ | نهاية مورفر |
| ٦٠ | مقتل ملك فرنسا |
| ٧٢ | فوستا في السجن |
| ٨٢ | عرش فرنسا |

